القسم الثانى

—

الوثائـــق

—

أولاً : وثائق الخلافـــة والخلفاء

١

نوع الوثيقة : سجل

موضوعها : إعلان وفاة الخليفة المستعلى وولاية الآمر مكانه .

صادرة عن : أمير المؤمنين أبى على الآمر بأحكام الله
(والوزير هو الأفضل شاهنشاه) .

إلى : كافة أولياء الدولة : أمرائها وقوادها وأجنادها ، ورعاياها : شريفهم ومشروفهم ، وآمرهم ومأمورهم ، مغربيهم ومشرقيهم ، أحمرهم وأسودهم ، كبيرهم وصغيرهم .

تاريخها : لم يذكر فى السجل ، وهو استنتاجاً : الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١ ديسمبر ١١٠١ م) .
انظر المقدمة التحليلية .

كاتبها : ابن الصيرفى .

المرجع : (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٦)
وقد نقله عنه عبد الله مخلص فى مقدمته لكتاب :
(ابن الصيرفى : فى الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ١٣ -١٥)

(١٤) فأقام [المستعلى] إلى أن توفى فى ذى الحجة [١] سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وولى بعده ابنه أبو على منصور ، ولقب : الآمر بأحكام الله ؛ قال ابن ميسر [٢] فى تاريخه [٣] : « ولما توفى المستعلى أحضر الأفضلُ أبا على وبايعه بالخلافة ، ونصَّبه مكان أبيه ، ولقَّبه بالآمر بأحكام الله ، وكان له من العمر خمسُ سنين وشهرٌ وأيام ، فكتب ابن الصيرفى [٤] الكاتبُ السجلَّ [٥] بانتقال المستعلى وولاية الآمر ، وقرئ على رؤوس كافة الأجناد والأمراء وأوله [٦] :

---

(١) تاريخ وفاة « المستعلى » كما ذكره السيوطى هنا غير صحيح ، فقد ذكر (المقريزى ؛ الخطط ، ج٤ ، ص ٧٧) أنه توفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٤٩٥ هـ .
انظر أيضاً : (المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١١٣ ب ، ونفس المرجع ، نشر الشيال ، ص ٢٨٣ و ٣١٥ والملحق الحادى عشر بآخر الطبعة) و (أخبار مصر لابن ميسر ، ص ٤٠) و :
(Zambaur : *Monuel de Genealogie et de Chronologie pour L'Bistoire de , L'Isam*) .

(٢) انظر ترجمته فيما سبق هنا ص ٧٨ ، هامش ٢ .

(٣) لم يرد هذا النص فى الجزء الباقى من تاريخ مصر لابن ميسر الذى نشره (هنرى ماسيه N. massé) ليمكن مراجعته عليه .

(٤) انظر ترجمته فيما سبق هنا ص ٤٢ ، هامش ١ .

(٥) لشرح معنى السجل راجع ما فات هنا ص ٣٧ ، هامش ١ .

(٦) أشار المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، (ص ١١٣ ب) إلى هذا السجل ولكنه لم يورد نصه ، قال : « وفى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة خمس وتسعين أحضره الأفضل وبايع له ونصبه مكان أبيه ، ونعته بالآمر بأحكام الله ، وكتب ابن الصيرفى فى سجلاً عظيماً أبدع فيه ما شاء بانتقال الإمام المستعلى إلى وجهة الله ، وولاية ابنه الإمام الآمر ، وقرئ على رؤوس الكافة من الأمراء والأجناد وغيرهم ... إلخ » وهذا النص لا يختلف كثيراً عن نص ابن ميسر ، ص ٤٠ ، الذى أغفل ذكر السجل كذلك .

« من عبد الله ووليّه أبي على الآمر بأحكام الله ، أمير المؤمنين ، ابن الإمام المستعلى بالله ، إلى كافة أولياء الدولة ، وأمرائها ، وقوادها ، وأجنادها ، ورعاياها، شريفهم ومشروفهم [1] ، وآمرهم ومأمورهم [1] ، مغربيهم ومشرقيهم [1] ، أحمرهم وأسودهم [1] ، كبيرهم وصغيرهم ؛ بارك الله فيهم .

سلامٌ عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّي على جدّه محمدٍ خاتم النبيين - صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلّم تسليماً - .

أما بعد ، فالحمد لله المنفرد بالثبات والدوام ، والباقى على تصرُّم الليالى والأيام ، القاضى على أعمار خلقه بالتقضّى والانصرام ، الجاعلِ نقضَ الأمور معقوداً بكلام الإتمام ، جاعلِ الموتَ حكماً يستوى فيه جميعُ الأنام ، ومنهلاً لا يعتصم من وِرْده كرامةُ نبيٍ ولا إمام ؛ والقائلِ معزّياً لنبيِّه ولكافة أُمته : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [2] ؛ الذى استرعى الأئمةَ هذه الأمة ، ولم تخلُ الأرض من أنواره لطفاً بعباده ونِعْمة ، وجعلهم مصابيحَ الشُّبَه إذا غدتْ داجيةً مدلهمة ، لتضئ للمؤمنين سُبُل الهدايةِ ولا يكون أمرهُم عليهم غُمَّةْ ؛ يحمده أمير المؤمنين حَمْدَ شاكرٍ على ما نقله فيه من دَرَج الإنافة ، ونقله إليه من ميراث الخلافة ، صبرٍ على الرزيَّة التى أطار [3] هجومُها الألباب [4] ، والفجيعةِ التى أطار طروقُها الأسفَ والاكتئاب .

---

[1] راجع ما سبق هنا ص ٣٨ ، هامش ٢ .

[2] سورة الرحمن الآية ٢٦ .

[3] نقل هذا السجل عبد الله مخلص فى مقدمته لكتاب (الإشارة إلى من نال الوزارة) لابن الصيرفى ، وقد استبدل هذا اللفظ هناك بلفظ آخر يدانيه وهو « أثار » خشية التكرار .

[4] فى الأصل : « الباب » .

ويسأله أن يصلي على جدِّه محمدٍ خاتم أنبيائه ، وسيِّدِ رُسُلِهِ وأمنائه ، ومُجَلِّي غياهب الكُفْر ومكشف عَمَائِه ، الذى قام بما استودعه الله من أمانته ، وحمَّله من أعباءِ رسالته ، ولم يزل هادياً إلى الإيمان ، داعياً إلى الرحمن ، حتى أذعن المعندون ، وأقرَّ الجاحدون ، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [1] ؛ فحينئذ أنزل الله عليه – إتماماً لحكمته التى لا يعترضها المعترضون – : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [2] ؛ صلى الله عليه ، وعلى أخيه على وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، الذى أكرمه الله بالمنزلة العليّة ، وانتخبه للإمامة رأفةً ، وخصَّه بغوامضِ علْمِ التنزيل ، وجعل له مبرَّةَ التعظيم ومزِّيةَ التفضيل ، وقطع بسيفه دابرَ مَنْ زَلَّ عن القصْد وضلَّ سواءَ السبيل ، وعلى الأئمة من ذريتهما ، العِتْرةِ الهادية من سلالتهما ، آبائنا الأبرار ، المصطفين الأخيار ، ما تصرفتِ الأقدارُ ، وتوالى الليلُ والنهارُ .

وإنَّ الإمامَ المستعلى بالله أمير المؤمنين – قَدَّسَ الله روحهَ – كان ممن أكرمه الله بالاطفاء ، وخَصَّه بشرف الاجتباء ، ومَكَّنَ له فى بلاده فامتدت أفْيَاء [3] عدله ، واستخلفه فى أرضه كما استخلف أباه من قبله ، وايَّده بما استرعاه إياه بهدايته وإرشاده ، وأمدَّه بما استحفظه عليه بموادِ توفيقه وإسعاده ؛ ذلك هُدَى الله ، يهدى به مَنْ يشاءُ من عباده ؛ فلم يزل لأعْلام الدينُ رافعا ، ولِشُبَه المضلين دافعا ، ولراية العدل ناشرا ، وبالندى غامرا ، وللعدو قاهراً ، إلى أن استوفى المدةَ المحسوبة ، وبلغ الغايةَ الموهوبة ؛ فلو كانت الفضائلُ تزيد فى الأعمار ، أو تحمى من ضروب الأقدار ، أو تؤخِّرُ ما سبق تقديمه فى علم الواحد

---

(1) سورة التوبة الآية ٤٨ .

(2) سورة المؤمنون الآية ١٥ ، ١٦ .

(3) الأصل « أقياء » .

القُهار ، لحمى نفسَه النفيسةَ كريمُ مجدها ، وشريفُ سَمْتها ، وكفاها خطيرُ منصبها ، وعظيم هيبتها ، وَوَقَتْها افعالُها التى تستقى من منبع الرسالة ، وصانتها خِلالُها التى ترتقى إلى مطلع الجلالة ؛ لـكن الأعمار محررَّةٌ مقسومة ، والآجالَ مقدَّرةٌ معلومة ، والله تعالى يقول ، وبقوله يهتدى المهتدون : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [1] .

فأمير المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزيَّةَ التى عظم أمرُها وفدح ، وجرح خَطْبُها وقدح ، وغدتْ لها القلوبُ واجفة ، والآمالُ كاسفة ، ومضاجعُ السكون منقضَّة ، ومدامعُ العيون مرفضَّة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، صبراً على بلائه ، وتسليماً لأمره وقضائه ، واقتداءً بمن أثنى عليه فى الكتاب ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [2] .

وقد كان الإمامُ المستعلى – قَدَّسَ الله روحَهَ – عند نُقْلَتِه جَعَلَ لى عَقْدَ الخلافة مِنْ بَعْدِه ، وأودعنى ما حازه من أبيه عن جده ، وعَهِدَ إلىَّ أن أخلفه فى العالم ، وأُجرى الكافةَ فى العدل والإحسان على منهجه المتَعَالم ؛ وأطلعنى من العلوم على السرِّ المكنون ، وأفضى إلىّ من الحكمة بالغامض المصون ، وأوصانى بالعطف على البريَّة ، والعمل فيهم بسيرتهم المرضية ، على علمه [3] بما جبلنى الله عليه من الفضل ، وخصَّنى به من إيثار العدل ، وأننى فيما استرعيته مالكُ منهاجه ، عاملٌ بموجب الشرف الذى عصب الله فى تاجه .

---

[1] سورة الأعراف الآية ٣٤ .

[2] سورة ق الآية ٤٤ .

[3] الأصل : ((علمى)) ، وما هنا قراءة ترجيحية يقتضيها السياق .

وكان ممّا [1] ألقاه إليّ ، وأوجبه عليّ ، أن أُعْلِي محلّ السيد الأجل الأفضل من قلبه الكريم ، وما يجب له من التبجيل والتكريم ؛ وأن الإمام المستنصر بالله كان عندما عَهدَ إليه ، ونصّ بالخلافة عليه ، أوصاه أن يتخذ هذا السيد الأجلّ خليفة وخليلاً ، ويجعله للإمامية زعيماً وكفيلاً ، ويَعْذق [2] به أمر النظر والتقرير ، ويفوّض إليه تدبيرَ ماوراء السرير ، وأنه عمل بهذه الوصّية ، وحذا على تلك الأمثلة النبويّة ؛ وأسند إليه أحوال العساكر والرعيّة ، وناط أمر الكافة بعزمته الماضية وهمته العليّة ؛ فكان قدمه بالسداد يرجف ولا يجَفُّ ، وسيفه من (١٦) دماء ذوى العناد يَكِفُ ولا يَكُفُّ [3] ، ورأيه في جسم مواد الفساد يرجح ولا يخف ؛ فأوصاني أن أجعله لي – كما كان له – صفيًّا وظهيراً ، وأن لا أستر عنه من الأمور صغيراً ولا كبيراً ، وأن أقتدى به في ردّ الأحوال إلى تكلفه ، وإسناد الأمور على تدبيره ، والناهط ما هط [4] (كذا) الخطب ومنتقلة ، إلى غير ذلك مما استودعني إياه وألقاه إليّ من النص الذى يتضوّعُ نَشْرُه وريّاه ، نعمةً من الله قَضَتْ لي بالسعد العميم ، ومنّةً شهدت بالفضل المتين والحظ الجسيم ، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [5] .

---

(١) الأصل : ((ممن)) .

(٢) في الأصل : ((ويغدق)) .

(٣) وَكفَ الدمع أو الماء أساله ، وكفّ الثانية بمعنى منع (اللسان) .

(٤) كذا في الأصل ؛ وفي القاموس : نهطه بالرمح طعنه ؛ ولم يرد لكلمة ((ماهط)) ذكر في كتب اللغة ، وقد استبدلها عبد الله مخلص بلفظة ((مايط)) وعرّفها في الهامش بقوله : ((والمايط : الجائر)) ، والمعنى مع هذا لا يزال غامضاً .
انظر : (ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ، المقدمة ص ١٥) .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .

فتعزُّوا معاشر الأولياء والأفمراء والقواد والأجناد والرعايا والخدام ، حاضركم وغائبكم ، ودانيكم وقاصيكم ، عن الإمام المنقول إلى جنات الخلود ، واستشروا بإمامكم هذا الإمام الحاضر الموجود ، وابتهجوا بكريم نظره المُطلع لكم كواكبَ السعود ؛ ولكم من أمير المؤمنين أن لا يُغْمِض جفنا عن مصالحكم [1] ، وأن يتوخّى ما عاد بميامنكم ومناجحكم ، وأن يُحْسِنَ السيرةَ فيكم ، ويرفعَ أذى من يعاديكم ، ويتفقّد مصلحةَ حاضركم وباديكم .

ولأمير المؤمنين عليكم أن تعتقدوا موالاته بخالص الطويَّة ، وتجمعوا له في الطاعة بين العمل والنيَّة ، وتدخلوا في البيْعة بصدور منشرحة ، وآمال منفسحة ، وضمائر يقينيَّة ، وبصائر في الولاء قويَّة ؛ وأن تقوموا بشروط بيعته ، وتنهضوا بفروض نعمته ، وتبذلوا الطارفَ والتالدَ في حقوق خدمته ، وتتقربوا إلى الله سبحانه بالمناصحة لدولته .

وأميرُ المؤمنين يسأل الله أن تكون خلافتُه كافلةً بالإقبال ، ضامنةً ببلوغ الأماني والآمال ؛ وأن يجعل ديمها دائمة بالخيرات ، وقسمتها نامية على الأوقات، إن شاء الله تعالى .

* * * * *

[1] الأصل : ((مصابكم)) ولا يستقيم بها المعنى .

٢

نوع الوثيقة : كتاب (رسالة) .

موضوعها : إعلان ولاة الأقاليم بوفاة الخليفة المستعلى وولاية ابنه الآمر .

صادرة عن : الخليفة الآمر بأحكام الله (والوزير هو الأفضل شاهنشاه) .

إلى : ولاة الأقاليم .

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١ ديسمبر ١١٠١ م) .

انظر المقدمة التحليلية .

كاتبها : ابن الصيرفى .

المرجع : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٣٩)

هذه نسخة كتاب كُتب به عن الآمر بأحكام الله تعالى [إلى ولاة الأقاليم [1]] عند استقراره فى الخلافة بعد أبيه المستعلى بالله ، والدولة مشتملةٌ على وزير ؛ من إنشاء ابن الصيرفى ، وهى :

« الحمدُ لله المتوحد بالبقاء القاضى على عباده بالفناء ، الذى تَمَجَّد بالأزليّة والقِدَم ، وتفرَّد بالوجود وتزّه عن العَدَم ، وجعل الموتَ حَتْماً مقضياً على جميع الأمم » .

يحمده أميرُ المؤمنين على ما خصَّه به من الإمامة التى قمَّصَه سِرْبالَها ، وورّثه فخرها وجمالَها ، حمد شاكرٍ ، على جزيل العطيّة ، صابرٍ على جليل الرزيَّة ، مُسَلِّم إليه فى الحُكْم والقضيّة ، ويسأله أن يصلى على جدِّه محمدٍ الذى ثبتت حجتُه ، وعلمت كلمتُه ، وأنافت على دَرَج الأنبياء درجتُه ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عَمِّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جعل [الله] الإمامةَ كلمة فى عَقِبِهِ باقية ، وحُبَّه جُنَّةً يوم الفَزَعَ الأكبر واقيه ، وعلى الأئمة من ذربتهما الطاهرين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين .

وإن الإمامَ المستعلى بالله أميرَ المؤمنين – قدَّس الله روحه وصلى عليه – كان من أوليائه الذين اصطفاهم لخلافته فى الأرض ، وجعل إليهم أزِمَّة البسط والقبض ، وقام بما حُمِّلَه من أوْقِ [2] الإمامة ، ولم يزل عاملاً بمرضاة الله إلى أن نقله إلى دار المُقَامة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، رضاً بقضائه ، وصبراً على بلائه ، وإلى الله يرغبُ أمير المؤمنين فى إلهامه حُسْنَ الصبر على هذا المُصَاب ،

---

[1] أضفنا مابين الحاصرتين لإيضاح حقيقة الكتاب .

[2] الأوق : الثقل ، وألقى عليه أوقه : أى ثقله . (اللسان) .

وإجزال حَظِّه عليه من الأجر والثواب ، وإمداده فى خلافته بموادّ الإرشاد والصواب ، بكرمه .

وكتاب أمير المؤمنين يوم كذا [1] من الشهر الفلانى من سنة كذا ، بعد أن جلس للحاضرين بحضرته من الأمراء : عُمُومَتِه وأوليائه وخَدَم دولته ، وسائر أجناده وعبيدِ مملكته ، وعامة شيعته ، وأصناف رعيته ؛ وأنوارُ الخلافة عليه مُشْرِقة، وأغصانُ الإمامة مثمرةٌ مُورِقة ، والسيد الأَجَلُّ الأفضلُ الذى أمدَّه الله فى نصرة الدولة العلوية بالتأييد والإظهار ، وأبان به برهان الإمامة الآمرية فوضحَتْ أنوارها للبصائر والأبصار ، وشَهَرَ له من المناقب ما سار مسير الشمس فى جميع الأقطار ، يتولى الأمرَ بحضرته تولِّىَ الكافلِ الزَّعيم ، ويباشرُ النظرَ فى بَيْعَتِه مباشرة القَسِيم الحميم ، والناس داخلون فى البَيْعَة بانشراح صدور ، وإظهار ابتهاجٍ وسرور ، يعُطُونَ صفْقَةَ أيمانهم ، ويعلمون مالهم من الحظّ فى طاعة إمام زمانهم ، قد تحققوا شُمُول السعد وعموم الرشاد ، وتيقنوا الخِيرَة لهم فى العاجلة والمَعَاد .

وأمير المؤمنين يُعَزِّيك ومَنْ قِبلَك من أولياء دولته ، وسائر رعيته ، عن المصيبة فى الإمام المستعلى بالله – صلى الله عليه – التى قطعت من النفوس أمَلَها ، وأسكنت الألباب جَزَعا ووَلَها ، ويُهَنِّيك وغياهم بمتجدِّد دولته التى تَهَلَّلَ لها وجهُ الزمان ، واستهلَّت بها سحائبُ الفَضْلِ والإحسان ؛ وأميرُ المؤمنين يحمد الله الذى أقَرَّ الحقَّ فى مَنْصِبه ، وافرده بما كان والدُه الإمامُ المستعلى بالله أفْرِدَ به .

---

[1] انظر المقدمة التحليلية ص ٤٢ .

فأعلم ما أعلَمَكَ أميرُ المؤمنين من هذا الخَطْب الجسيم ، والنبأ العظيم ، وأشكر الله على ما جدّده لك ولكافة المسلمين من النعمة بإمامة أمير المؤمنين ؛ التى أوْقَتْ بإساءة الزمان وجِنَايته ، وشَفَتْ من داء كَلْمه ونِكَايته ؛ وتقدّم إلى الدعاة [1] قِبَلَك بأخذ البيعة على نفسك وعلى كافة مَنْ فى ولايتك ، واستحمد إلى أمير المؤمنين أنت وهم بالإخلاص فى طاعته ، والاجتهاد فى مناصحته ، والتمسُّك بعِصمِ مشايعته ، لتنالوا (٢٣٩) فى العاجلة حَظًّا جسيما ، وتُحْرِزُوا فى الآجلة أجراً كريماً : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [2] .

وطالعْ بالكائن منك بعد قراءة كتاب أمير المؤمنين على الحاضرين قِبَلَك، وإذاعته فى الواردين عليك والمستوطين عَملَك ، ليحْمَدُوا الله على ما انا لهم بخلافة أمير المؤمنين من جميل الصُّنْع العائد على العابد ، وصلاح البلاد .

وكُتب فى اليوم المذكور .

* * * * *

---

[1] الأصل : « الدعاء » .

[2] سورة الفتح الآية ١٠ .

٣

نوع الوثيقة : كتاب (أو سجل) .

موضوعها : تجديد ولاية والٍ من ولاة الأقاليم فى وظيفته التى ظل يباشرها فى عهدى المستنصر والمستعلى .

صادرة عن : الخليفة الآمر بأحكام الله (والوزير الأفضل شاهنشاه) .

إلى : وال من ولاة الأقاليم (لم يعين اسمه أو اسم ولايته) .

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١ ديسمبر ١١٠١ م) (انظر المقدمة التحليلية) .

كاتبها : ابن الصيرفى .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ٢٣٩ – ٢٤١) .

نسخة كتاب صادر عن الآمر بأحكام الله ، كُتب به إلى [والٍ من] [1] ولاة الأطراف بعد قراءة عهده مهنئاً بخلافته ، وتجديد ولايته [2] ، من إنشاء ابن الصيرفى . وهى :

أما بعد ، فالحمد لله مُولى المنائح من نِعَمِه ، ومُجْزِلِ العطايا من مواهبة وقِسَمِه ، ومُعَوِّد الصُّنْع الجميل من لطفه وكرمه ، الذى له الحكم الظاهر عَدْلُه ، ولديه الطَّوْل الفائض فَضْلُه ، وعنده مفَاتحَ الغيب وإليه يرجع الأمر كلُّه .

يحمده أمير المؤمنين على ما أفرده من سَنِيّ المواهب ، ونظمه له من عقود المناقب ، ونقله غليه من تُراث آبائه الكرام الذين جلا ضياؤهم ظلامَ الغياهب ، وتزينت بهم الأرضُ تَزَيُّنَ السماء الدنيا بزينة الكواكب ، ويسأله أن يصلى على جده محمد الذى نشر به الرحمه ، وكشف الغُمَّه ، وأنقذ الأمه ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه على بن ابى طالب - أمير المؤمنين - ، والمذكور فى زُبُرِ الأولين ، وعلى الصَّفْوَةِ من ذرّيتهما الهُداة الراشدين ، صلاةً باقيةً إلى يوم الدين .

وإن النِّعَم تتفاضل أقدارُها بحسب مواقعها ، وتتفاوت أخطارُها بقَدْر مواضعها، ومِنْ ألطفها مكاناً ، وأشرفها مَحَلاً وشاناً ، وأولاها بأن تُسْتَنْطَقَ به الأقلام، وأحَقِّها بأن يتناقلَ ذكرَها الخاصُّ والعام ؛ ما خصَّ الله به أميرَ المؤمنين من المِنَنِ الظاهرة ، (٢٤٠) وتولاّه من المِنَحِ المتظاهره ؛ وأصاره إليه من الخلافة

---

[1] أضفنا من بين الحاصرتين لإيضاح حقيقة السجل .

[2] الضمير هنا يعود على الوالى ، فالمقصود أن السجل قصد به التهنئة بولاية الخليفة ، والأمر بتجديد ولاية الوالى .

فى أرضه ، واستخلفه عليه من القيام بسُنن دينه وفَرْضه ، واسترعاه إياه من حِيَاطَة بلاده ، وأوجبه من طاعته على كافَّة خلقه وعباده ؛ وذخره لدولته من كفيله وخليله ، ومقيم أدِلَّة حقه وموَضِّح سبيله ، السيد الأجل الأفضل الذى ارتضاه الله للذَّبِّ عن الإسلام ، وانتضاه لنُصْرة إمام بعد إمام ، وشهر مناقبه فى كل موقف ومقام ، وخصَّه بفضائل لم تُرَمجتمعةً لملك من ملوك الإسلام ؛ لا جَرَم أنَّ أمير المؤمنين قد أحَلَّه منه محلَّ الروح من الجسد ، والوالد من الولد ؛ وفوَّضَ الأمور إليه تفويض معوّل على يُمْن نقيبته معتمد ، مبالغ فى حسن الاختيار للأمة مجتهد، والله تعالى يُمَتِّعُ أمير المؤمنين ببقائه الكافل ببلوغ الأمل ، ويجازيه عن تشييد مملكته أحسنَ ما جزى به مخلصاً جَمَع فى الإيمان بين القول والعمل ، بكرمه .

ولما وقف أميرُ المؤمنين بما طالعه به السيدُ الأجلُّ الأفضل عند مئوله بحضرته ، وإنهائه أمورَ دولته وأحوال مملكته ، على أمرك الذى استحمده فى الخدمة ، واستحققت به إفاضةَ الإحسان وإسباغَ النعمة ، وأن لك فى الدولتين : المستنصرية والمستعلية من الخِدْم المشكوره ، والمساعى المبروره ، ما يدلُّ على مناصحتك وإخلاصك ، ويبعثُ على اصطناعك واستخلاصك ، أمر بكَتْبِ هذا السجل لك مؤكداً لأواخيك ، ومُعْرباً عن رأيه الجميل فيك ، ومجدداً من ولايتك، ومُجْرياً لك فيها على مُسْتَمَرِّ رسمك ومستقر عادتك .

فقابل نعمة أمير المؤمنين من الإخلاص فى طاعته بما يربطها ، ووفِّها من حق الاجتهاد ما يُقِرُّها عندك ويُثَبِّطُها ؛ واجعل تقوى الله تعالى عِمَادك ، واطْوِ عليها طَوِيَّتك واعتقادك ، ومكِّن فى نفوس الأولياء جميلَ رأى أمير المؤمنين فيهم ، وإحْمَادَه لمواقفهم فى الخدمة ومساعيهم ، وحَقِّقْ عند كافة المُسْتَقِرِّين لديك ، والواردين عليك ، ما يُكْنَفُون به من الأمر الشامل ، (٢٤١) ويُغْمَرُون به من حُسْن النظر المتواصل ؛ واجْرِ على العادة المألوفة فى إفاضة العدل والإنصاف ، وتنكَّبْ سبيل الجَوْرِ والإجحاف ، ومَهِّد السُّبُل قِبَلَك ، واحْمِ من

أسباب الفساد ولايتك وعملك ، واخصُصْ متولى الحكم والدعوة الهادية – ثبتها الله تعالى – بالإعزاز والرعاية ، ووفِّر حظَّهم من الملاحظة والعناية ، وخذ المستخدم فى الخطبة العلوية بإقامتها فى أوقاتها ، على أفضل قوانينها وواجباتها، مُعْلِناً فيها بذكر أمير المؤمنين الذى يُتَوِّجُ فروقَ المنابر ، ويُشَنِّفُ أسماع البوادى والحواضر ؛ وتَوَفَّرْ على ما تَمُرّ الأموال وأنماها ، وغَزِّرها ورخَّاها ، وقضى بوفورها وحصولها ، ودعا إلى دُرُورُها ومواصلة حُمُولها ؛ وانظر فى أمر الرجال المستخدمين معك نظراً يؤدى على مصلحتهم .

فأعلم هذا من أمير المؤمنين ، واغتبط بما اصاره الله إليه اغتباط أمثالك من المخلصين ، واعتقد طاعته اعتقاد من يجاريك من أهل اليقين ، واعمل بوصاياه ومراشده تَحْظَ فى الدنيا والدين ، وطالع بالكائن منك بعد قراءة هذا السجل على كافة الناس أجمعين [1] .

---

[1] وجاء بعد الكتاب السالف الذكر فى نفس المرجع ج ٨ ص ٢٤١ :

((وهذه نسخة ملّطف فى هذا المعنى ، كتب به عن وزير فى الدولة الفاطمية ليلفَّ كتاب الخليفة طيه ، وهو :

ينطوى هذا الأمرُ الوارد على الأمير ، على كتاب مولانا وسيدنا الإمام الفلانى لدين الله ، أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، أو أبنائه المنتظرين – إن كان لا ولد له – بما أصاره إليه من شرَف (٢٤٢) الإمامة ، وبرَّأه إياه من مقام العظمة والكرامة ؛ إثر انتقال الإمام فلان أمير المؤمنين – قدس الله روحه – على جوار ربه ، فاعتمد العملَ بمضمونه فى أخذ البيعة على نفسك ومن يليك ، وتلاوته على رؤوس الأشهاد ، وإذاعة مكنونة فى الحاضر والباد ، على الرسم المعتاد ؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى)) ؛ ولشرح لفظ ((الملطف)) راجع ما فات هنا ص ٤٦ ، هامش ١ .

٤

نوع الوثيقة : رسالة (أو سجل) وتوسم بـ « الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية » .

موضوعها : تبرير أحقية المستعلى – والد الآمر – فى الخلافة ، وإثبات عدم أحقية أخيه نزار لها .

صادرة عن : الخليفة الآمر بأحكام الله

إلى : معشر المؤمنين فى جميع أنحاء الدولة وممتلكاتها .

تاريخها : لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : شوال سنة ٥١٦ هـ (انظر المقدمة التحليلية) .

كاتبها : لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : ابن الصيرفى (انظر المقدمة التحليلية) .

المرجع : (آصف بن على اصغر فيضى : الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية ، ص ٣ – ٢٦)

(*Al - Hidayatu L - Amiriyya Ed : Asaf A.A.Fyzee Catcutta , ١٩٣٨*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنا للمتقين إماماً ، وأقامنا للهدى أعلاماً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تكون للمؤمنين وسيلةً وذماماً ، ونصلى على جدنا سيدنا محمد رسوله الذى أسْبَلَ ببلاغة من سماء الحكمة غماماً ، ونَسَخَ بأحكام دينه أنصاباً وأزلاماً ، وعلى أبينا وصيِّه ووارث مقامه وعلمه علىّ بن أبى طالب أعظم الخلق قُرْباً وإلماماً ، وأولهم إيماناً وإسلاماً ، وعلى الأئمةِ من ذرّيتهما الذين احتووْا بهدايتهم من الحكمة زماماً ، وأزاحوا بأنوارهم من الضلالة ظلاماً ، صلى الله عليهم صلاة دائمة ولقّاهم تحية وسلاماً .﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [1] .

لقد خسر من دفع مقاماتِ أولياء الله وجحد حقَّ أئمة دينه ، وسكن فيهم إلى مختلفات الأهواء ، واتخذ أئمة ضلال أنشأهم لنفسه ، وهؤلاء عناهم الله تعالى بقوله : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [2] .

---

[1] سورة آل عمران الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ .

[2] سورة البقرة الآية ٦١ .

وذلك أن من صدَّ عن حدود الله وعدل عن الإجابة ، وتأوَّل على الولاية وتحكّم في الإمامة ، ونبذ عهد الإيمان وراء ظهره ، فأشباه هؤلاء يُقال لهم : اهبطوا من مرتبة الإيمان الخاصة إلى رتبة الغواية العامة ، التي هي كالمصر الجامع لأصناف الناس ، والمشتمل على مختلف البرايا والأجناس . فإن الآراءَ المختلفةَ والمذاهبَ المفترقةَ لا توجد في جماعة الدعوة وحريم الإمامة ، وقد ضرب الله عليهم الذِّلَّةَ والمَسْكَنَةَ لتقهقرهم وارتدادهم وعدولهم عن سنن رشادهم، فإن العزة إنما هي مرتبة الإيمان التي أخَلُّوا بها ولم يتمسكو بسببها ، ولهذا باءوا بغضبٍ من الله حين فارقوا رحمته التي هي عصمة إمام الزمان ، وانضووا إلى أضداده الذين هم في الحقيقة غضب الرحمن ، وقد أعطى الله السببَ في ضرب الذلة والمسكنة على من جحد حق الوصيّ والإمام ، ومال إلى الضلالة ولم يصبر على صنف واحد من الطعام بقوله سبحانه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [1] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [2] ، يعني يسلبون أربابَ الحق مرتبَتَهم ، ويقيمون دعوة أضدادهم ، فما أعظم ما عليه أقدموا ، وما أصعب ما إياه افتحموا ، بغياً على النفوس البشرية التي لو خَلُّو بينها وبين اكتساب صورتها تخلصت من شوائب الطبيعة وكدورتها ، ولحقت بدار مقامتها ، ووصلت إلى مظنة كرامتها ، فتبَّبت أيديهم وتعست جدودهم [3] ، فلقد نصبوا على النفوس المسكينة [4] حبائلَ تصرفها عن سداد أمرها ، وتمنعها عن التخلص من أسرها ، طلباً لأعراض الدنيا التي هي متاعٌ قليلٌ ، وظلٌّ لا دائمٌ ولا

---

[1] سورة البقرة الآية ٦١ .

[2] سورة آل عمران الآية ١١٢ .

[3] كذا في الأصل وهو صحيح ، وإن كان فيلصي قد أبدلها خطأ في نشرته إلى ((خدودهم)) .

[4] في الصل : ((المسكنة)) .

ظليلٌ ، فهم مستحقون لغاية اللوم والذم ، مستوجبون أعظم عقوبات ذوى الجرائم والظلم ، وذلك لأنهم أضلوها عن الهدى وهدوها إلى الضلال ، فاستوجبوا بذلك أليمَ العقوبة وشديد النكال ، فأحرى بمن منع النفوس خلاصها الأبدى ، وغيرها عن عالمها العلوى ، وميزّها عن مقصد فوزها السرمدى ، بأن لا يخفف الله عنه العذاب ساعة ، ولا يأخذ منه عدلاً ولا يقبل فيه شفاعة ، يصغر – وأيم الله – عظيمُ العقوبة عند مقدار جرمه ، ولا يكفى مؤلم التقريع فى مكافأة بغيه وظلمه ، فإنهم ضيّعوا كلمة الله الحيّة الناطقة ، وحرّفوا حجته البالغة الصادقة، وناصبوا رحمته الحاضرةَ الموجودة ، ونقلوها عن موضعها بغير نص مشهور ، ولا خبر مأثور ، ولا دليل قابله الحق بنور : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [1] .

هذه الآيةُ عند أهلِ التأويل هى بيانُ أمثال هؤلاء الذين يعملون فى اختيار الأئمة على آرائهم جهلاً بحدود الله وافتراءً عَلَى الله ، والكتابُ الذى كتبوه بأيديهم مَثَلُ الإمام الذى اختاروا برأيهم ، ورأى الماكرين من مقدميهم ، وقولهم : « هذا من عند الله » هو ادعاء لهم أنه اختيار من المؤيد الذى لا ينطق عن الهوى ، ولا يخرج عن أمر الله ، ليشتروا به من حطام الدنيا ثمناً قليلاً ؛ وسيكسبون بما فعلوه من خزى الآخرة عذاباً شديداً وبلاءً طويلاً .

يا معشر المؤمنين : اصغوا بآذان واعية إلى ما أُوَضحه لكم من سبيل الله وتَفَهَّموا بقلوب صافية ما أعْرِضُهُ عليكم من حُجَجِ الله البيِّنات أما تَعْجَبُونَ لطائفة حالفها الشيطانُ فخالفت القرآن ، وكسبت فى دين الله عظيماً ، واباحت منه حمًى معصوماً ، فأشبهت يهودَ هذه الأمة فى كتمان الحق بعد عرفانه ، واجتنابِ

---

[1] سورة البقرة الآية ٧٩ .

الصدق بعد وضوحه وبيانه . ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [1] .

هؤلاء قوم قالوا بإمامة نزار دون دليل واضح هداهم ، ولا نَصّ جَلِيٍ قادهم إلى ذلك وأدّاهم ، بل عموا على مَحَالٍ يستزلُّ أَلْبَابَ الأغمار ، وأخبارٍ ملفقةٍ تموهت لأجل بُعد الدار ، ومعلومٌ أنه لا طريق إلى تثبيت إلا بالنصّ والاختيار ، وقد أجمع جميعٍ من يُنسب إلى الدعوة الهادية على صحة النص فى الإمامة وفساد الاختيار ، وأتوا بما يؤيده من البراهين الواضحة والقضايا الصادقة ، وذلك أن الاختيار لا يصح إلا بحصول شرائط فى التخَيُّرِ والمُتَخَيِّر .

وأما شرائط التَّخَيّر فأن يكون باجتماعٍ بعيد ، والاتفاق مع عدم الهوى التى أفادتها أئمة الدين وهُدَاتُه ، وأثبتها عنهم أربابُ المذهب الطاهر ودُعاتُه ، ووصول الناقد فى الزمان الطويل ، الناظر فى الدقيق والجليل ، إلى تحقق هذه الخلال من شخص متعذر غير موثوق به ؛ لأن ثَمَّ أشياءَ خفيَّة ونائزَ نفسانية يمكن أن يساير الشخصُ بها ويرائى فيها ، فكيف يصل على تحققها جمهورُ أهل العقد والحل وأكثرهم له مفارقون وعنه متباعدون ؛ فلهذا وأمثاله من ضعف البصائر البشريَّةِ واضطرارها إلى الاستضاءة بالمعارف الحقيقيةِ ، بإرشاد هُداة الحكم الربانيَّة ، لم يكن تثبيت الإمامة إلا بنص صحيح يؤخذ من لسان المؤيد المرشد إلى الحق فى وقته وزمانه ، لا يُكتفى فى ذلك بمجرد قوله ، دون ما يعمّهم من حقيقة إشارته وفعله ، ولا يعتمد فى ذلك إلا على ما يُقَرِّره فى وقت انفصاله ، ودقيقةِ انتقاله ؛ وإلا فقد يَنُصُّ على أشياء تقتضيها الحكمةُ فى وقت وتوجبُها السياسةُ فى حال ، ثم ينسخها فى مقام آخر ، وكل ذلك بحسب الأصلح فى إرشاد

---

[1] سورة البقرة الآية ٨٩ .

الخلق على قدر منازلهم وطبقاتهم ، فعيون الخفّاش لا تثبت لضوء النهار فضلا عن أن تثبت لضوْء الشمس الذى يبهر أعين النُظَّار .

ومن أعظم الدلائل عَلَى صحة النصّ أن كل من يقول بالاختيار فى الإمامة إذا خوطب على ذلك وطولب بشرائط الاختيار وَهَنَ دليلُه ، وضعف تعليلُه ، ولجأ إلى ادعاء النصّ وانتحاله ، فتتأكد صحةُ النص بأن كل من أباه إذا حوقق عليه لجأ مضطراً إليه ؛ والذين قالوا بالاختيار متى راموا عليه استدلالا ، وتكلّفوا فيا مقالاً ، سلبه الحقُّ نورَه وخلع عنه التوفيقُ لباسَه ، يموّهون محالهم ويأبى إلا افتضاحًا ، ويسترون ضلالهم ويأبى إلا انكشافاً ، وينسبون أقاويلهم إلى الكتاب العزيز وينقضها تنزيله وتأويله ، ويسندونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله - فتدفعها سنّتُه وتدحضها ملّتُه ؛ وحسبك التجاء القائلين بالاختيار إلى النص بأنهم إذا ضايقهم العرب فى استحقاق الإمامة من دونهم ادعوا النص وقالوا : قال رسول الله : « الإمامةُ فى قريش » ؛ وغذا ضايقهم بنو أمية وادعوا من استحقاقها مثل ما ادعوه لجأوا إلى النص فقالوا : قال رسول الله : « الإمامة محرّمةٌ على الطُّلَقَاء وأبناء الطُّلَقَاء » ؛ وإذا حاججهم آل الرسول أولياء التنزيل بما معهم من الأثر الجلى والنص الحقيقى موّهوا بالاختيار ، فإذا حوققوا فيه وقفوا موقف الخجل والاعتذار ، فإنهم عند ثبوت النص يراوغون بالاختيار ، فإذا أُفحموا بفساده وما يلحقه من تعاقب الآراء واتباع الأهواء ادعوا النص انتحالاً ، ولفّقوا فيه محالاً ، واضطروا برغم آنافهم إلى حجة آل محمد فجاءت غراء علياء تبهر الخصوم وتسُكت القائلين ، وتبُين بأن الأئمة فى تتابع وجودهم ، وتواصل جهودهم ، كالشمس التى لا تخلو من آفاق سماءها ولا تعدم من مجارى أفلاكها ، فهى أبداً ظاهرة للنظار ، مواصلة لإفاضة الأنوار ، ولا يصح خلوّ زمان من ظهورها ولا يفقد مكانُ إشراقَ نورها .

ومن المعلوم الذى لا شك فيه أن مولانا الإمامَ المستنصر بالله – أمير المؤمنين – لم يَقْعُد مكانَه ، ولا خَلَفَ عيالَه ، ولا ورث مقامَه ، ولا أعاد أيامَه ، ولا تولى حُكْمَه ، ولا أفاد عِلْمَه ، ولا أُلْبِس بُرْدَ خلافته ، ولا أمْسَك قضيبَ مملكته إلا مولانا الإمامُ المستعلى بالله – أميرُ المؤمنين – فإنه أشار إليه ، ونصَّ عليه ، وأقعده فى دقيقة انتقاله مقعدَه ، وجعل حدَّه فى الإمامة والخلافة حدَّه ، عرف ذلك من عرفه وأنكره من حسده ، فثبت مولانا المستعلى بالله إماماً وطلع فى سماء مُلْكِ آبائه الطاهرين وقصورهم بدراً تماماً ؛ وخرج عنها نزارُ بدنياه فلم يجد منها بنائل ، ولا حظى فيها بطائل ، ثم لما أسلمه علمه ، وأوبقه زللُه ، ونزلت الدائرةُ بأتباع دعواه ، وأرباب هواه ، ولم يقم لهم قائمة ، وأُخذوا أخذَ القُرى وهى ظالمة ، فحينئذ كَرَّ منصرفاً ، وأقرَّ معترفاً ، لأنه لحقه من الحسد ما لحق أخوةَ يوسف ، وأظهر الندمَ على ما فَرَط منه ، وقال : ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [1] ؛ ثم بعد حكم الله فيه ، لحق بأشياعه وذويه ، ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [2] .

فأى دليل أوضح فى بطلان إمامته ، من انقطاع سببه وظهور ندامته ، واعترافه بلسانه ، ولحاقه بأهل عدوانه ؛ وليس هذا من شأن الأئمة ، فإن الأئمة لا يقولون كما قال الملكان ببابل : هاروت وماروت : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [3]

وذلك أن الأمة لما افتتنت بعد نبيها وأشهرت كلُّ طائفةٍ منهم سيفها ، وقال بعضهم : « منا أمير ومنكم أمير » ، قال كبيرهم فى أول قعوده : « وليتُكم ولستُ بخيركم » ؛ وقال صاحبه عمر : « كانت بيعة أبى بكر فلتةً وقى الله شرّها » ؛ وأقرَّ

---

[1] سورة المؤمنون ، الآية ١٠٦ .

[2] سورة الدخان ، الآية ٢٩ .

[3] سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

أبو بكر على نفسه بالشك ، فقال : « إني وددت لو أني سألت رسول الله : لمن هذا الأمر من بعده ؟ » . والإمام الحق لا يشك في نفسه ولا يرجع عن أمره ، ولا يندم إن غُصِب على حقه ، بل يثبت مستمراً على شأنه ، مفصحاً عن محله ومكانه ، هادياً مهدياً متبوّءًا من العصمة مكاناً عليًّا ، كما فعل عليٌّ في جميع مقاماته ، فإنه لم يذعن قط راجعاً ؛ ولا وافق في إسقاط حقه منازعاً ، بل نُوصب فصبر ، حتى أظهر الله أمره به ، ووصل الإمامة بسببه ، وجعلها كلمة باقية في عقبه .

ومولانا المستعلي بالله هو حبل الله المدود ، فمن يقطعه ؟ ومشرع نجاته المورود ، فمن يمنعه ؟ وعَلَمُ الهدى المرفوع ، فمن يطرحه ؟ وجبل الدين الراسي ، فمن يزحزحه ؛ وبحر الحق المسجور ، فمن ينزفه ؟ وسراج الأمة الوهّاج ، فمن يستره ؟ ومعنى الكتاب المستور ، فمن يحرِّفه ؟ ومحل الولاية المقدَّم ، فمن يؤخره ؟ وهل عرض له في مناصبة إمامته ، وجحْد حقوقه والادعاء عليه إلا ما عرض لجده عليٍّ بن أبي طالب ؟ وكما أن ذلك لم يقدح في إمامة علي فكذلك لم يقدح في إمامة مولانا المستعلي بالله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [1] . فمن شكَّ في هذا الأمر خرج من عهدة الدين وفارق عصمة المؤمنين فكان من يهود هذه الأمة الذين قالوا : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [2] .

والعجب أن هذه الطائفة يُظهرون طاعة مولانا المستنصر بالله وهم يعصونه ، ويستمسكون بحبله وهم يفارقونه ، ويموّهون باتباعه وهم يخالفونه ، فإذا كذبوا بنص مولانا المستنصر بالله المأخوذ عنه في دار هجرته ومحل كرامته ، وبمرأى

---

[1] سورة التوبة ، الآية ٣٢ .

[2] سورة الأعراف ، الآية ١٣٨ ، ١٣٩ .

ومَسْمَع من أولاده وخاصته ، والحاضرين من أشياع مملكته وجمهور رعيته ، وعلموا على شُبه مضلّة وأخبار على بعد الدار ملفقة ، فإلى أى نص يرجعون ؛ وبأى حديث بعده يؤمنون ؟ فجحْدُ الحق بعد معرفة الكفر والرجوع إليه أولى بالعاقل من التمادى فى الباطل ؛ وما كنى مولانا المستنصر بالله – أميرُ المؤمنين – بل أفصح بالنصّ عليه ، وبالغ فى الإشارة بالإمامة إليه ، وذلك أنه لما علم ما يكون من الخلاف فى أمره والفتنة فيه سمّاه باسم النبى ، وكنّاه بكنيته ، ليجعله رمزاً خفياً يعلمه العارف الخبير ، ويفهمه الناقد البصير ؛ ثم إنه لما بُشّر بميلاده فى محضر من خاصته وأولاده قالوا له : « لِيَهْنِئْكَ يا أمير المؤمنين الأميرُ » ، قال : بل قولوا : « ليهنئك الإمامُ » ، لم يعتمد هذا مع أحد من سائر ولده .

ثم إنه لما زُوِّج ابنة أمير الجيوش وعقد النكاح عليها أقعده على يمينه وأقعد سائر أولاده على يساره ، ونعته فى ذلك اليوم بوليِّ عهد المؤمنين ، ولم ينعت ولديْه الآخريْن – يعنى عبد الله ونزاراً – إلا بوليِّ عهد المسلمين ؛ وبَيْن ولاية عهد المؤمنين وولاية عهد المسلمين ميزةٌ لا تخفى على أحد ، وحقيقةٌ لا ينكرها إلا ذو بَغْيٍ وحسد ؛ ثم لم يكتف بهذا حتى كرَّر هذا النعت له فى عدة مواضع من كتاب الصداق ، وكتب علامته [1] الشريفة بيده الطاهرة فوقه :

صحّ « والحمد لله رب العالمين »

وأشهَدَ عليه من أعيان الشهود المعدلين جماعةً بعضهم فى قيد الحياة إلى وقتنا هذا ، وكتابُ الصداق موجودٌ عندنا لا يقدر بشر على دفع أعلامه ولانقض أحكامه .

---

[1] راجع ما فاتَ هنا ص ٥٣ ، هامش ٢ .

ثم أنه لما تشاجر عبدُ الله ونزار – ولداه – في الإمامة بين يديه ، قال لهما : « لا تشاجرا ولا تنازعا، فليس واحد منكما بصاحب هذا الأمر، وإنما صاحبه هاهنا » – وأشار بيده إلى ظهره الطاهر ؛ وكان مولانا المستعلي حينئذ لم يحُمَل بعدُ . وهذا كان في يوم مشهود ومقام غير خفي ولا مجحود .

ثم إنه لما حضرته النُّقلة إلى دار الكرامة وحانت دقيقة الانتقال ، وهو الوقت الذي يُعَوَّل فيه على النصّ أشار إليه ، ونصّ مصرحاً عليه ، وأمر من حضر بطاعته ، وعرَّفهم ما خصَّه الله به من وراثة رتبته ومقامه ودرجته ، فأذعن الجميع طائعين ، وبادروا بشعاره معترفين ، ولم يخالف في ذلك أحد من المخالفين والموالفين ، إلا نِزَارٌ وشِرْذِمَةٌ من الغلمان لم يُعتقوا بعد ، ولا فُوِّض إليهم التصرف في الأموال ، فضلا عن التحكم في أمر الإمامة .

وجميع ما ذكرنا ليس في أولاد مولانا المستنصر بالله وأبنائه ، ولا في الحاشية والأولياء وسائر طبقات الناس ، إلا من يعرف ذلك كما يعرف نفسه ، ويتحققه كما يتحقق يومه وأمسه ؛ ومنذ أيام أقرَّت به أختُ نزار على رؤوس الأشهاد طائعة ، واعترفت به متبرعة ، وادَّت الأمانة معلنة ، وأقسمت لمن حضر أن مولانا المستنصر بالله – أمير المؤمنين – صرّح لها في عدة مواطن بأن مولانا الإمام المستعلي بالله هو صاحب هذا الأمر من بعده ، ووارث إمامته ومقامه ؛ وذكرت أن أخاها نزار خرج وهو معترف بمقاطعته لله فيما فعل ، وأن الحسد حمله على مالجَّج فيه وتوغَّل ؛ وذكرت أن يوم نكاح مولانا المستعلي بالله على بنت أمير الجيوش دخل نزار إليها وقال : « ما يئستُ من الخلافة إلا في يومي هذا ، فإن مولانا المستنصر بالله نعت أخي أحمد بولي عهد المؤمنين ، وأقعده على يمينه ، وأقعدني وسائر أولاده على يساره » ؛ ثم إنها تبرّأت من إمامة أخيها نزار ، وأجبت اللعنة على من يقول بها في إعلان وإسرار ، وذلك أن الله أراد أن

يُطَهِّرَها قبل موتها من دَنَس العصيان ، وأن يختم لها بخاتمة أهل الإيمان ، وأن تستوجب برضى إمامها عليها أتم الزلفة والرضوان .

وكذلك احتذى أولادُ نزار الباقون حَذْوَها في الاعتراف بالحق لأهله والتبرأ مما فرط من نزار وسلف من سوء فعله ، وبايعونا بصدور منشرحة ، وأيدٍ إلى طاعة الله وطاعتنا منبسطة .

وهذه أمور جليّة لا يكابر فيها إلا من يجحد العيان ويدفع البرهان ؛ وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ [1] ، وذلك أن مولانا المستنصر بالله من دوره بمنزلة سليمان من دور بني إسرائيل ، وهو المشار إليه بسليمان ، وقد قال النبي : « كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة » ، فسليمان هذه الأمة هو مولانا المستنصر بالله ، لأنه واقع في الرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان في الرتبة والعدد من أئمة دوروه ، وأيضاً فإنه أُوتي ملكا لمْ يؤتَ مثله أحد من آبائه طولا وتمكيناً كما أوتي سليمان ، وسُخِّرت له الريح والشياطين كما سخرت لسليمان ، فتسخير الريح تأييده في كل مقام ، وتسخير الشياطين له انقياد المارقين له والمخالفين لأمره ونهيه ، وقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ أي ما كفر مولانا المستنصر بالله ولا جحد حقيقة علمه في معنى الإمام من بعده ، بل عَقَدَ الإمامةَ لمولانا المستعلي بالله في يوم النكاح على رؤوس الأشهاد ، ونصَّ عليه في دقيقة انتقاله لا موضع تأوّل فيه ولا اشتباه على أحد من حاضريه ، وكفر بذلك من اتبع الهوى وآثر الدنيا ، إذ كانت الخلافة والإمامة محل المنافسة وباعث الحسد ،

---

[1] سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

ولهذا قال سبحانه : : ﴿وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ ، أي هؤلاء الذين شطئوا عن الحق وبالغوا في الحيلة ؛ فضلّوا وأضلّوا .

ومما يعضد هذا التأويل ما ورد في أسفار بني إسرائيل من أن سليمان نصّ بالإمامة على ولده رحبعون [1] كما نص مولانا المستنصر بالله على مولانا المستعلي بالله ، فحسده المسمى يربعون [1] ، فخرج عليه ، واتبعه جماعة ممن أضلّهم بمكره واستهواهم بسحره ، وغيّر لهم نصوص الدين ، وأزالهم عن الصراط الواضح المبين ، كما فعل نزارُ في خروجه على مولانا المستعلي بالله ، وكانت الدائرةُ على يربعون [1] وأصحابه ، كما كانت الدائرةُ على نزار وأصحابه ، وكانت العاقبة لابن سليمان صاحب الحق ، كما كانت العاقبة لمولانا المستعلي بالله – أمير المؤمنين – فإن الله في طاعتها ؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار فقد وضح الصبح للنظّار ، أما يأنف من تغذى بلبان الدعوة ودخل في عصمة الولاية أن يتعامى عن الحقيقة وقد اسفر نورها إسفاراً ، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [2] .

ومع هذا إن ركبوا ظهر اللجاج ، وتوعّروا في سبيل الاحتجاج ، واستدلوا بأن نزار خرج طالباً للأمر ، ونصب راية الحرب ، ودعا لنفسه دون سائر أولاد المستنصر بالله ، قلنا هذا ما لا يجب به نص حق ، ولا تثبت به إمامة ، ولا يصح

---

(1) في الأصل : ((رجيعون)) و ((بريعون)) ، وقد صحح الاسمان بعد مراجعة :
–(S.M. Stern : *The Epistle of the Fatimid Caliph Al- Amir - al Hidaya al - Amiriyya - its Date and its Purpose* . J.R.A.S. ۱, ۲, ۱۹۵۰ . p. ۲۱.nots ۱) .

وانظر أيضاً ما فات هنا ص ٥٦ ، هامش ٢ .

(2) سورة الجمعة ، الآيـة ٥ .

لقائله فيه دلالة ، فإنه ليس بأول ظالم لنفسه ، مقاطِع لربه ، ومطالب ماليس بحقه ؛ وقد خرج قوم على أمير المؤمنين ، وغصب قومٌ حقّه ، فلم يكن ذلك مما يبطل حقه ، ولا يثبت لأولئك حقا .

فإن استدلوا بأن مولانا المستنصر بالله نعته بولى عهد المسلمين ، قلنا : وهذا ما لا يثبت به غمامة ، فقد وَلّى مولانا الحاكمُ بأمر الله عبدَ الرحيم عهدَ المسلمين، ثم حقّق الإمامة لصاحبها ، وخلّفها لمستحقيها – مولانا الظاهر لإعزاز دين الله – ؛ فلِمَ سلمتم ذلك فى مولانا الظاهر ومنعتموه فى مولانا المستعلى بالله ؟ وعبدُ الرحيم كان أظهرَ أمراً ، وأَنْبَهَ ذكراً ، وأمكنَ يداً ، وأجلى نصًّا من نزار ؛ فإن قالوا إن عبد الرحيم [1] ليس بولد ، ونزارٌ ولد ، قلنا : إذا جاز للإمام أن يقدّم من ليس بولد لولاية عهد المسلمين من غير أن يخلّف الإمامة فيه ، فكيف يجوز أن يقدم من ولده لولاية عهد المسلمين من ليس يخلف الإمامة فيه ؟ إذ ليس جميع ولده أئمة ، فلا فرق بين الولد فى ذلك وغير الولد ، فلا حجة إذاً فى تقديم إنسان لولاية عهد المسلمين فى ثبوت الإمامة له ؛ ومما يؤكد ذلك أن عبد الله أيضاً قد قلّده ولاية عهد المسلمين كمثل تقليده ذلك لنزار ، وهذه خطوط يده الشريفة باقية إلى اليوم شاهدة بذلك .

فأما أن يقولوا إنهما جميعاً إمان فمحالٌ ؛ وأنّى يكون الحق فى طريقَيْنِ ، والإمامة منقسمة فى شخصيْنِ ، وأما أن يقولوا : إن أحدهما إمام فقط ؛ فما الذى جعل نزار أولى بها من عبد الله ؟ والمعنى الذى استدلوا به عَلَى إمامة نزار هو تقليده عهد المسلمين ، فعبد الله مشارك فيه على السوء ، بل عبد الله أولى بذلك لأنه المتأخر فى الزمان ، ومعلوم فى أحكام الشرائع الطاهرة أن الحُكْمَ المتأخّر ناسخ للحكم للمتقدم ؛ وأيضاً فإن الإمامة تجرى مجرى الوصيّة ، ولا خلاف بين

---

[1] انظر ما فاتَ هنا ص ٥٧ ، هامش ١ .

الأمة فى أن الوصية المتأخرة ناقضةٌ للوصية المتقدمة ، فتبيّن من حيث هذا أن تقليد عبد الله مُبْطِلٌ لتقليد نزار ، وتقليد مولانا المستعلى بالله مبطلٌ لجميع ما تقدم ، وناسخ لكل ما سلف ؛ وقد نُعِتَ بولى عهد أمير المؤمنين ، وما نُعِتا إلا بولى عهد المسلمين ، ونُصَّ عليه فى دقيقة الانتقال ، وخَلف الإمامة فيه دون الناس والأشكال ، فقد ثبت أنّ لاحجة لهم فى تقليد ولاية عهد المسلمين .

فإن قال قائل فيما تقدم من تقليد عبد الرحيم إن مولانا الحاكم بأمر الله إنما فعل ذلك لأنه كان لم يولد له ولد ، فلما وُلد له مولانا الظاهر لإعزاز دين الله صحَّ الأمر له وارتفع عن ذلك ، قلنا إن مولانا الحاكم بأمر الله لم ينب عن مكنون علمه أن مولانا الظاهر لإعزاز دين الله سيولد له ، كما لم يخف على مولانا المستنصر بالله أنه سيولد له مولانا المستعلى بالله ، ولا فرق بين الأجنبى وبين الولد الذى ليس بإمام فى هذا ، والحجة كما قدمنا – على سياقها – عليهم لا لهم .

فإن قالوا : وهذا موضع إشكال ، وما الحكمة فى تقديم الإمام لولى عهد المسلمين من ليس مخلفاً فيه الإمامة ، فالجواب أنهم لو رجعوا إلى إمام وقتهم فسألوا عن وجه الحكمة فى هذا الفعل ، وسر الحقيقة فى باطن هذا الظاهر لكان أولى بهم ، وأعْوَدَ بالفائدة عليهم ، وأبعد من توجه الشبهة إليهم ، وكانوا يسلمون من الرجوع إلى آرائهم ، والاتباع لأهوائهم ، ونحن نفيدهم وجه الحكمة فى ذلك ، وهو :

أن الأئمة إنما يقصدون إرشاد الخلق وتعليمهم ما تكمل به صور نفوسهم ، ويحصل عنه رتبة نجاتهم فى معادهم ، والناس فى رتب التعليم متفاضلون ، وفى منازل الهداية متفاوتون ، وقد تقتضى المصلحة الحاضرة والمنفعة الزمنية بوجوه من السياسة وضروب من الاختيار والامتحان أن يشار إلى الناس بشىء والغرض سواه ، ويصرح لهم بأمر وليس المقصود إياه ، وما هذا بتناقض منهم ولا اختلاف فى علمهم ، بل هو بحسب الأصلح فى زمان ، ويحكم ما يطلعون عليه من صفاء

الضمائر وكدرها فى أوان ، وإنما فعل هذا مولانا المستنصر بالله لأنه لما تضمن من مكنون علمه أن الإمام إنما يولد فى طرف عمره ، وعلم أن قلوب الضعفاء ربما توحشت إن لم تكن تسكن إلى شىء يشغلها فى أوقات توحشها ، وليس لهم من الصبر على انتظار الوقت المعين ، وظهور الشخص المبين ما للأوقياء المهتدين الواثقين بعصمة المؤيدين شغل نفوسَهم بشىء يداوى به ضعفهم وقلة صبرهم ، ثم لم يترك ذلك مهملاً ولا أرسله سُدى بل قرنه بتقليد عبد الله ليشعر كل لب حاضر ، وحظ من التوفيق وافر ، أن الأول منسوخ بالثانى والثانى كالأول ، فاقتضى ذلك صحة ثالث ؛ وهذه نكتة لا يعلم تأويلها إلا الراسخون فى العلم والمخصوصون بالذكاء والفهم ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [1] .

ولا خلاف بين أهل التأويل أن الآية مَثَلٌ الإمام ، ويعنى بقوله : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ أى نؤخر من شخص قد وسم بوسيم يوهم فيه الإمامة ، ويعنى بقوله : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ أى ننقل من إمام حقيقى إلى دار الكرامة ، فإن النسخ هو إبطال حكم متقدم بإثبات حكم متأخر ، وهو مثل تصرف الشخص المتوهمة إمامته ، والنسيان هو انتقال الشىء من مقر الحفظ ، وهو مثل انتقال الإمام إلى دار الكرامة ، وقوله : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾ أى نأت بإمام الحق وهو خير من الشخص المتوهمة إمامته .

ومما يؤيد هذا قول الله تعالى : ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [2] فإنه أشار عند جميع أهل التأويل بقوله : ﴿ خَيْرٌ﴾ إلى الوصى ، أو إلى إمام الحق ، وبالذى أدنى إلى الشخص الذى يتوهم فيه أنه إمام وليس

---

[1] سورة البقرة ، الآية ١٠٦ .

[2] سورة البقرة ، الآية ٦١ .

بإمام، ويريد بقوله تعالى : ﴿ أو مثلها ﴾ أى يخلف إمام حق بإمام حق مثله من عنصره وأصله ، فإن الأئمة فى معنى الإمامة متماثلون ، وفى حقيقة التأييد والعصمة متشاكلون ؛ وجعل بإزاء نسخ الآية الإتيان بما هو خير ، وبإزاء نسيانها الإتيان بما هو مثلها ، فهل بقى بعد فهم هذا فى فعل الأئمة رَيْب ، أو يكون على وجه حكمتهم اعتراض بحضرة أو عيب ؟

يا هؤلاء : ما تعلمون أنكم مضطرون إلى الإمام الحاضر فى الاستضاءة بتعليمه وإرشاده ، وتحصيل المعارف التى لا تحصل إلا من جهته ، وتلومون أهل الظاهر فى الاستبداد بآرائهم والسكون إلى أهوائهم ، فكيف تأتون إلى أعظم الأمور قدراً وأخفاها علماً – وهى الإمامة – تحكّمون فيها آراءكم ، وتتبعون فيها أهواءكم ، إن هذا لهو الضلال البعيد والخسران المبين .

فإن قال بعضهم : إن الإمام المستنصر بالله قد كاتب بعض الناس مشيراً إلى تقليد نزار ولاية العهد ، قلنا : فلا فرق بين مكاتبته ومشافهته ، بل الكتابة أضعف ، ولا عمل بها عند أهل البيت فى البيوعات والمعاملات ؛ فضلاً عن أعظم الأمور التى هى الإمامة ، وبعد أن تسلم لهم صحة المكتوب كانت الحجة عليهم هى الحجة التى ذكرناها قبل هذا فى المشافهة ، ولا يثبت لهم ما ادعوه بشىء من ذلك ولا بسواه .

فإن قال قائل بما نقول لهم إن مولانا المستنصر بالله حين نصَّ على مولانا المستعلى بالله فى آخر الأمر إنما نصَّ عليه ستراً على نزار ، قلنا : معلوم أنه حين نصَّ على مولانا المستعلى بالله كان مالكاً لأمره قائماً بتدبيره غير معارَض فى فعله ولا ممنوع من إراداته ، وليس فى دولته وعبيد طاعته من يعارضه ، فأى داعٍ كان يدعوه إلى أن يستر على نزار بالنص على غيره ، فإن قيل إنه إنما خاف على نزار من المستعلى بالله ، قلنا : وهذا مما لا يقع ببال عاقل ، بل الأحرى – وإن كان إمامُ الحق لا يُخَاف عليه – أن يخاف على الإمام المستعلى بالله من نزار ، إذ

كان نزار أكبر سنًا ، وأحرى أن تبعثه المنافسة والحسد على ما قد فعله آخراً ، ومع هذا فأىّ كلام ينفى النص على الإمام المستعلى بالله فى دقيقة الانتقال والأمر لنزار وسائر الحاضرين بطاعته والدخول تحت رأيته ، والتمسك بحبل و لايته ، ومما يلجم الأفواه ولا يبقى مقالاً للخصم أن نزار وعبد الله بايعا مولانا المستعلى بالله بعد انتقال مولانا المستنصر بالله بيعة كاملة ، فثبت عبد الله وسائرُ الناس عليها ، ونكثها نزار لما تداخله من الحسد ، وخرج فى تلك الليلة ، وكان منه ما كان ، فكيف بايع والحقُّ له ؟ .

فإن كابر مكابر وادعى النصَّ لنزار فى دقيقة الانتقال التى عليها المعوَّل قلنا: كيف خفى هذا النص على أولاد المستنصر بالله وأهله وخدامه ونسائه وجميع الحاضرين لوقت نُقْلته من رجال ونساء ، وكان الذين شاهدوه من نصه فى ذلك الوقت دون فصل ولا تأويل خلاف ذلك ، وهو النص على مولانا المستعلى بالله ، وعَلِمَه من بأقصى خراسان هل يقول بهذا عاقل أو يرجح إليه محصِّل ؟ وهل بين هذا فرق وبين من يترك أن يأخذ نص النبى فى أمير المؤمنين على أنه وَصيُّه من بعده من أهل البيت الذين هم مشاهدوه وملازموه ، ويأخذ ذلك من الأباعد والغرباء ؟ فمن المعلوم أن من عدل فى استلام أخبار النبى وأفعاله ونصوصه عن أهل بيته وخاصته وأخذها من الغرباء كان قد وضع نفسه موضع الاستزاء وكذلك لو ترك أخذ ذلك عن الصحابة والتابعين من أهل المدينة ، وأخذ ذلك عن أهل الهند وفارس لارتفع معه الكلام ، وأيضاً فعل مبايعتهم على جهاتهم والإغراق فى الاحتجاج عليهم ، فلا شك أن نزار مع اعترافه بمقاطعة ربه وندمه على سوء فعله مات وحده ولم يبق له عقب يدَّعى إمامةً أو تُدعَّى فيه ، فأى شىء أقوى فى بطلان إمامته من انقطاع عقبه ؟ !

فإن ادعى مدَّع أن له بخراسان ولد جارية حملت من ولده قلنا لهم فبماذا وقفتم على نص نزار على ولده ، ثم بما علمتم أن هذه وَلَدُ وَلَدِهِ ، وبما علمتم أن

الولد نصٌ على ولده هذا وولد نزار لم يظهر لأحد ولا وصل إليه بشر ، ولا حملت منه جارية خرجت عن موضع استقراره ، وهذا نهاية فى المحال وغاية فى الاضطراب والاختلال .

ومع هذا : الولدُ الذى يدعيه بعضهم مخبوٌّ لم يظهر للعيان ، ولا برز للوجود والبيان فأىُّ فرقٍ بينه وبين إمام القطيعة الذى نباينهم فيه ونضطرهم بالحجة إلى فساد معتقديه ، فهل يصح لمحصِّل عاقل من أهل الدعوة أن ينخدع لهذا المحال ، وكيف يرضى الطالب لنجاته والمجتهد لخلاصه أن يقع فى أشراك الاحتيال ، ويتبع من نصب هذا المقال استدراجاً للجهّال ، وتلطفاً فى جباية النجاوى والأموال ، والله ولى مكافأتهم ومعاقبتهم إنه شديد المحال .

وأيضاً فإذا نظرنا إلى شرائط الإمامة وجدناها كاملة فى مولانا المستعلى بالله، وذلك أنه مُعْرِقٌ فى الإمامة خلفاً عن سلف بلا فصل ولا واسطة ، منتهٍ على الوصاية والنبوة ؛ ثم إن الإمامة صُيِّرت إليه بنص صحيح ثابت من إمام حق لاحق لا خلاف بين أهل الدعوة فى إمامته ، وذلك النصُّ واقع منه فى دقيقة نُقْلَتِه بمحضر من خاصته وأولاده وجميع جلّته ؛ ثم إنه قعد مقعده ولم يفارق مكان خلافته ولا خرج عن آفاق طاعته وانتقلت إليه جميع مكاسبه الباطنة والظاهرة وقنيته ؛ ثم اتصل سببه وظهرت عصمته وبانت معجزاته ونزلت الدوائر بمن خالفه ، ولاح التأييد والتسديد فى أقواله وأفعاله ، ولم يزل داعياً إلى خلاص النفوس ونجاتها ، ومحامياً عنها ، قائماً بميزان القسط فيها لم تختلف عزائمه ولا اضطربت أحكامُه ، وكملت فيه الفضائل الطبيعية التى هى أسباب السعادة الأبدية ، وذلك أنه كان يفهم الشىء وحياً وإيماءً ، ويحفظ ما يدركه ويراه وإن تناهى كثرة واختلافاً ، ويفطن الأمر بأدنى دليل عليه أو هادٍ إليه ، ويذكر ما مرَّ به ذكراً لا يذهب عن خاطره ولا يبرح عن باله ، وكان إذا عبَّر عن المعنى ملك فصل الخطاب وجمع المعانى الكثيرة فى يسير الألفاظ ، واستدعى بحسن عبارته

قبول النفس وإنصات الأسماع ، وكانت أعضاءه على أفضل الهيئات متناهية في الكمال حاصلة في درجة الاعتدال ، أجود الناس طبعاً في استفادة المعارف وإفاضتها ، وأفضلهم نحيزةً في مواتاة الأخلاق ونفاستها ، وأكثرهم تأنياً لمعاناة أمور الملك ومباشرتها . وكان لا شَرِهًا ولا راغباً في لذة ولا متزايداً على الحاجة بفضله ، عظيم النفس ، كريماً ، محباً للعدل ، مبغضاً للظلم ، مؤثراً للصدق ، منبسطاً إلى الخلق ، راغباً لما يعود على النفس منفعته ، كارهاً لما يسوء فيها مغبته ، وفيًّا لما يعده ويعطيه ، معصوماً فيما يعتمده وينتحيه ، لم يعتوره قصور ولا فتور ، ولا ظهر منه أمر يُنقَد أو سبب يُنكَر ، بل كمل كمالاً دلّ على أنه مواصل بنور إلهي من دار القدس ، منبعث لإفاضة العدل وتهذيب النفس .

ثم لم يزل يدعو إلى معالم الدين وأسباب النجاة ويهدى إلى تفصيل حال المبدعات والمنبعثات ، ويقابل تقاسيم الروحانيات والجسمانيات ويوازن بين الحدود السفلية والحدود العلوية ، واستمر على ذلك إلى أن انتقلت أنواره إلينا ، واتصلت أسبابه بنا ، وظهر من حالنا ويظهر بتأييد الله تعالى ومشيئته ما يوشّح به السَّير ويسير به الركبان ، وتضيء بغرره الأيام المستقبلة والأزمان .

هذا هدًى للمستبصرين وشفاء لقلوب المؤمنين ، فمن باهَتَ بعد وقوفه عليه وإصغائه إليه ، وعاند العيان ، أو شَكَّ في هذا البيان ، فنحن نقول كما قال الله في كتابه العزيز لأمثاله : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [1] .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وسلم تسليماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

---

[1] سورة آل عمران ، الآية ٦١ ، ٦٢ .

٥

نوع الوثيقة	:	رســــــالة
		(إيقاع صواعق الإرغام فى إدحاض حجج أولئك اللئام)
موضوعهــا	:	مناقشة الفرقة الحشيشية النزارية بالشام لما ورد فى الرسالة السابقة « الهداية الآمرية » من آراء ، والرد عليها ، ثم تفنيد رسمى لهذه الآراء لتأكيد ما جاء أولا فى « الهداية الآمرية » من براهين على أحقية المستعلى بالله للخلافة بعد أبيه المستنصر دون أخيه نزار .
صادرة عــن	:	الخليفة الآمر بأحكام الله .
إلـــــى	:	دعاة الدولة الفاطمية فى دمشق ليذيعوا هذه الردود الرسمية للدولة على النزارية بين الناس .
تاريخهــا	:	حدد التاريخ فى الرسالة باليوم والشهر ، وهو : ٢٧ ذو الحجة وقد حددت السنة استنتاجاً وهى : سنة ٥١٦ هـ . (انظر المقدمـــة التحليلية) .
كاتبهــا	:	لم يذكر ، وهو استنتاجاً : ابن الصيرفى . (انظر المقدمة التحليلية) .
المرجـــع	:	نشرها آصف بن على أصغر فيضى مع « الهداية الآمرية » فى مجلد واحد (ص ٢٧ – ٣٩) .

رســـــــالة

إيقاع صواعق الإرغـــــام

بسم الله الرحمن الرحيم

لما صدرت هذه الهداية عن حضرة سيدنا ومولانا المنصور أبى على الآمر بأحكام الله – أمير المؤمنين – صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، أشرق بها نور الحق المبين ، وعمَّت بركتُها جميع أهل الدين ، وأسلبت على المؤمنين من سحائب الرحمة والجود ما أحيا هامد الجمود ، وذلك أنها شدَّت عقائد المستبصرين ، واستدركت سهو المغفلين ، ورنَّقت تمويه المبطلين .

ولما وصلت إلى دمشق ووقف عليها [نفر] من جماعة الحشيشية[1] فلّت غَرْبَهم ، وكدَّرت شربهم . ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [2] ، لا جرم أنهم طلبوا سبباً يخلّصهم فتقطعت

---

(1) لاحظ أن استعمال لفظ ((الحشيشية)) فى هذه الوثيقة له أهمية كبرى ، فهو يدل على أن الإسماعيلية المستعلية هم الذين بدأوا بنعت النزارية بهذا الوصف ، فهذه الوثيقة صدرت فى عهد الخليفة الآمرى أى بعد نشوب النزاع بين المستعلى ونزار بنحو عشرين سنة ، ولهذا فأنا أرجح أن هذا اللفظ أطلق على النزارية أول الأمر للتشهير بهم بمعنى أنهم فى قولهم بإمامة نزار إنما كانوا يخرفون كما يخرف الحشيشية .

(2) سورة البقرة الآيــة ١٦٥ .

بهم الأسباب ولجأوا إلى جبل يعصمهم من المـــاء ، فتغلقت دونهم الأبواب ، ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ [1] ، ولا ناجي إلا من عرف الحقيقة وفهم ، وقد حملت الشقوةُ أربابهم على تكلّف سَتْرِ سنَا الشمس وهي تُغْشي أبصارَهم والتعرض لمقاومة عباب البحر وهو يطفي نارهم ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [2] ، ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [3] .

وصل كتاب من الدعاة المستخدمين بدمشق مشتملاً على فصل هذا نصه :

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من ذى الحجة بعد فراغ قراءة المجلس الشريف [4] على المستجيبين للدعوة الهادية - كَثَّرَهم الله - وَرَدَ على الملوكِ رجلٌ من القوم الماكرين لم تَجْرِ له بذلك عادةٌ ، وصحبه أحد المستجيبين للدعوة الهادية ، فجلسا هنهة ، وأخرج الرجل من كمه نسخة الهداية الواردة من المقام الأشرف ، وأن تلك النسخة كانت عند المستجيب ، وخص ذلك الرجل بسماعه إياها ، وأن الرجل لما وقف على مضمونها اشتبه عليه أمره وضاق به ذرعاً ، وحملته تلك الحال إلى أن مضى بتلك النسخة إلى طاغوته ، فطلب منه جوابها ، وخلاص مشكلاتها ، فأجابه على ذلك فى آخر الهداية ، - إذ كان البياض يسع الجواب - بهذه الفصول :

---

[1] سورة هود ، الآية ٤٣ .

[2] سورة البقرة الآية ٦١ .

[3] سورة فاطر الآية ١٤ .

[4] كان الدعاة يعقدون فى العصر الفاطمى مجالس تسمى بالمجالس الشريفة ، يلقون فيها المحاضرات لشرح المذهب وأصوله .

انظر : (المجالس المستنصرية ، نشر محمد كامل حسين ، ص ٧ و ما بعدها) .

الجوابُ من الطاغوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسنُ والحسين قَتَل أحدُهما صاحبَه ، أو قاتِلُ الحسينِ يزيدٌ اللعينُ ؟ قصة هابيل وقابيل ، شر الناس من قتل نبيًّا أو قتله نبيٌّ ، وبعد ذلك شرُّ الناس من قَتَلَ إماماً أو قَتَلَهُ إمامٌ . ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [1] . ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾ [2] .

كانت الدعوة في حياة رسول الله إلى رسول الله ، فلما قبضه الله إليه ، وجاء أهل الكتاب يحاجُّون المسلمين ، ويسألونهم البينة على دعوى رسول الله إلى من كان الرجوع في إظهار البينة وإقامة الحجة عليهم إلى أبي بكر أو إلى عليّ ؟ هكذا الحال في أمر الإمام الماضي من إقامة الحجة على صحة إمامته ؛ فهو المستحق لتراثه ؛ إن صحَّ النصُّ على إسماعيل فقد صحَّ النصُّ على نزار ، وإن لم يصح النص على إسماعيل ، فأنت ابن من ؟ قال أحدهم يقول سيدنا : أنا رجل إسماعيلي ، أتدرى ما معنى قوله أنا رجل إسماعيلي ؟ ذلك لأن النصَّ الذي كان على إسماعيل لم يُنسخ بالنص على موسى ، ولم يضر ذلك إسماعيل شيئاً .

---

[1] سورة الأعراف ، الآية ١٤٨ .

[2] سورة يونس ، الآية ٣٥ .

وإن قال القائلون ما قالوا : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [1] .

فما وصل هذا من تمويههم خرج الجواب الموضح لجهلهم المفلل لمضاربهم ، وأُنفذ إلى الدعاة قرين هذه النسخة ، وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« وصل كتابكم يا أبناء الدعوة – وفّقكم الله لطاعته ، وسلمكم من إهمال حظكم وإذاعته – فاشتمل العلم عما تضمنه من توبة الرجل الذى أعشى نورُ الحق عينيه وضاق ذرعه حين قرئت الهداية عليه وأنه لجأ إلى كبير ضلاله وزعيم محاله ، فأجابه فى الهداية بما سوَّلتْ نفسُه أنه يخلصه وينجيه ، ولم يشعر بأن الشيطان هو الذى يعده ويمنيه . ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [2] .

ولما وصل فى كتابكم ما سطرتموه مما زخرفتموه وموهتموه صدر إليكم قرين هذا الكتاب من الجواب الصادع والبرهان القاطع ما يجعله هباءً منثوراً ، فتولوا على أدبارهم نفوراً ، وستضئ لكم نيراته ، ويقوم بإعلاء دعوتكم بيناته ، فترون فصل ما بين البصر والعمى ، وتتحققون فرق ما بين الضلالة والهدى ،

---

[1] سورة الممتحنة الآية ٤ .

[2] سورة غافر ، الآيتان : ٣٦ و ٣٧ .

وتتلون فيهم قول الله : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [1] .

فإذا وصل إليكم فاصدعوا بحجته ، واحملوا المستجيبين على محجته ، وانقعوا ببيانه ظماء القلوب ، ونوِّروا ببرهانه أرجاء البواطن والغيوب ، وقد شكر لكم ما اعتمدتموه من التوقف عن مجاوبتهم والتمنع عن مجادلتهم إلا بعد المطالعة وتطلب الجواب من مظنته ومعدنه فتمسكوا بهذا الهدى ولا تعدلوا عن سنته واعلموا أنكم بخير ما دمتم تستعلمون وتستفهمون ، فهو الذى يصلح شأنكم فى دنياكم ودينكم ، ويقضى بصفاء ضمائركم ، وسلامة يقينكم ، والله المستعان .

وأما نسخة الجواب الصادر إليهم المتضمن للرد عليهم فقد اثبتناه تِلْوَ هذا ، ومن الله نستمد التوفيق ، وله الحمد على هدايته وإرشاده ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العيان لنفسه شاهداً ، وميَّز الحق فصيّره فى كل شىء واحداً ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة فاز بسعادة الأبد من لم يكن لها جاحداً ؛ وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى بلّغ رسالات ربه وأوضح غامضاً وقرَّب متباعداً ، وعلى أخيه وابن عمه – أمير المؤمنين – على بن أبى طالب ، الذى لم يزل فى سبيل الله مجاهداً ، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين سقونا من ينابيع الحكمة عذباً بارداً ، وصلى الله عليهم ما لزمت كفٌ ساعداً ، وتلى قائم قاعداً .

---

[1] سورة الكهف الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ .

أما بعد ، يا أبناء الدعوة ، وأحباء الحكمة ، الذين أرضعهم الإيمان بلبانه ، وناجاهم الحق بلسانه ، فسمعوا ووعوا ، وفهموا واهتدوا ، وعاهدوا ووفوا ، فليس العجب إذا ضل من لم يبلغه النداء ، ولا كشف له الغطاء ، ولا كانت الأمانة من ودائعه ، ولا قرّت ألفاظ الحكمة بمسامعه ، وإنما العجب ممن سمع كلام الله فحرَّفه ، وكتم الحق وقد عرفه ، واتخذ إلهه هواه ، وضلَّ على علم وأضَّ سواه ؛ ما كنتُ أحسب يا أبناء الدعوة وإخوان ديننا أن أحداً يدخل تحت نوع الإنسان أو ينبض منه عرقُ الإيمان ، يتصفح الهداية الصادرة عن سيدنا ومولانا المنصور أبي عليّ ، الآمر بأحكام الله – أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين – فيتطرَّق بعد ذلك شكٌ إليه ، أو تبقى في معنى إمامة مولانا المستعلي بالله شبهة عليه ، ولكن لا توفيق مع الخذلان ، ولاحظ مع الحرمان .

وقد وقفتُ يا أبناء الدعوة على ما سطرتموه في كتابكم من جواب الحشيشية [1] – هداها الله وأصلحها – عما تضمنته الهداية ، فلم أرَ في شيء من ذلك ما هو جواب عما فيه ، ولا ماله تعلق بشيء من معانيها ، هيهات ، هيهات ، شهب الإمامة تحرق كل شيطان مارد ، وبوارقها تخطف بصر كل منافق معاند ؛ وهذا من أبهر آياتها ، فإنه لا يتعرض لأقاويلها متعرض إلا زلَّت قدمه ونكص على عقبيه وَوَهَتْ قواه واقترن العجز والنقصان به ، ومن أعرف الأشياء وأوكدها دلالة على محالهم وأكثرها إبانة عن انتحالهم أن الذي احتجوا به فجميعه متوجه إليهم ولا حجة عليهم ، وأنا يا أبناء الدعوة مظهرٌ ذلك فاستمعوا ما أقول وأنصتوا لعلكم تفلحون .

---

[1] انظر ما فات هنا ص ٢٣٣ ، هامش ١ .

أما قولهم : شرُّ الناس من قتل إماماً أو قتله إمام ، فقول صحيح ، وخبر عن سيد المرسلين صريح ؛ ولهذا نقول نحن : إن شرَّ الناس من قتله الإمام المستعلى بالله ، وارث الإمامة ، وحائز مقام النبوة ؛ فهذه حجة لنا جاءت على أيديهم ، وأبانت عن ظلمهم وتعديهم .

أما قولهم : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [1] . فهذه حجةٌ لنا أخرى أنطقهم الله بها ، وذلك أن إمامنا موجود يكلمنا في جميع الأوقات ، ويهدينا إلى سبيل النجاة ؛ والذى يدعونه مائت فائت ، ما كلَّمهم ولا هداهم ، ولا أمرهم ولا نهاهم .

وأما قولهم : ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي ﴾ [2] . فهذه حجة لنا أخرى ، أتوا بها وهم لا يشعرون . ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [3] ، ياليت شعرى من الهادى إلى الحق : الإمام المستعلى بالله ، وفرعه الثابت فى دوحته الإمام مولانا الآمر بأحكام الله ، اللذان أقاما حدود الدين وفتحا للمستجيبين أبواب اليقين ، وصدعا بأمر الله ، فى أخذ الناس بمناهج التكليف ، ونَهْيهم عن المنكر ، وأمرهم بالمعروف ، وبرزا كالشمس ظهوراً ووجوداً ، وبعثها الله تعالى مقاماً محموداً ، أو من نكص عن سواء طريقه ، وغصَّ بريقه ، فلم يتجاوز قوله فكّيه ، ولا أفاق حتى كانت الدائرة عليه : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ*

---

[1] سورة الأعراف الآية ١٤٨ .

[2] سورة يونس الآية ٣٥ .

[3] سورة يس الآية ٦٥ .

وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [1].

وأما قولهم : كانت الدعوة في حياة رسول الله إلى رسول الله ، فلما قبضه الله إليه ، وجاء أهل العناد يحاجون المؤمنين ويسألونهم البيّنة على الإمام المستنصر بالله إلى من الرجوع في إظهار البينة وإقامة الحجة عليهم إلى صاحبهم الذي لم يتخذ إلى الهدى دليلاً واشترى بآيات الله ثمناً قليلاً أو إلى الإمام المستعلي بالله بن الإمام المستنصر بالله الوارث لمقام الإمامة ، المستقر في مقر الكرامة ، الذي جعلها الله كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة ، فهل يشكُّ ذو لُبّ صحيح وفكر أن الإمام المستعلي بالله هو القائم مقام علي ، وأن صاحبهم هو القائم مقام أبي بكر ؟ هذا هو التمثيل الصحيح لا ما قصدوه ، والتشبيه الحقيقي لا ما التمسوه واعتمدوه .

وأما قولهم : هكذا الحال في أمر الإمام الماضي ، من أقام الحجة على صحة إمامته فهو المستحق لميراثه ، فهذا حق لا خلاف فيه ، ولا فرق عندنا بين ظاهره وخافيه ، ولكن هل أقام الحجة على إقامة إمامته والاستحقاق لوراثته بالمقال والفعال ، واللسان والسنان إلا الإمام المستعلي بالله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ *وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [2].

---

[1] سورة فاطر الآيات ١٩ - ٢٢ .

[2] سورة القصص الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

وأما قولهم : إن صحَّ النصُّ على إسماعيل فقد صحّ النصُّ على نزار ، وإن لم يصح النص على إسماعيل فأنت ابن من ؟ فمثلهم في هذا الذى احتجوا بـــه ﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] . من أين إذن صح النصُّ على نزار ، وأى تعلق بينها ، وأى فرق بين قولهم هذا وبين قول من قال : إن صح النص على إسماعيل فقد صح النص على عبد الله – أخى نزار – وهذا مما لا يحتج به مَنْ له أدنى فطنة ، فإن النصوص على قوم لا تصح على آخرين ، وإنما تصح لوقوعها من الذى ينص بها مع العلم بذلك ؛ فانظروا يا أبناء الدعوة بأى شيء وبأى محال يرجفون ، ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [2] .

وأما قولهم : أنا رجل إسماعيلى ، تدرى ما معنى أنى رجل إسماعيلى ؟ ذلك لأن النص الذى كان على إسماعيل لم يُنسخ بالنص على موسى ، ولم يضر ذلك إسماعيل شيئاً ؛ وإن قال القائلون ما قالوا فالجواب أن إسماعيل لم يصح له النص بتقدم زمان ولا بتأخره ، وإنما صح له بوجوب ذلك وثبوته عليه وعلى محمد ابنه من بعده عند النقلة الحقيقية مما تحققه أولياء الدعوة أهل الحل والعقد من المشاهدين لأقوال مولانا الإمام جعفر الصادق وأفعاله ، وإشعاره إياهمّ ببطلان النص على موسى ، وإعلامهم أن ذلك على جهة الستر عَلَى الإمام محمد ابن إسماعيل ، وساغ[3] ذلك لأنه زمان ستر ، وأما فى زمان الأئمة الطاهرين فلا يسوغ ستر ولا كفاية ولا تلويح ولا تورية ، فأما تأخير النص على مولانا الإمام

---

[1] سورة العنكبوت الآية ٤١ .

[2] سورة الشعراء الآيتان ٤٤ ، ٤٥ .

[3] الأصل : ((وشاع)) وما أثبتناه هو الصحيح ، وتؤكده الجملة التالية .

المستعلى بالله فما يثبت أركان إمامته ، ويشد بنيان خلافته وحاله فى صحة النص عليه فى آخر الأمر بعد ذكر اثنين [1] كحال صحة النص على الإمام العزيز بالله فى آخر الأمر بعد ذكر اثنين ، وذلك أن مولانا المعز لدين الله لما سأله شيعته الإشارة لهم إلى الإمام من بعده من جملة أولاده أحضر أحد أولاده ، وقال لهم : ﴿هذه عصاى أتوكأ عليها﴾ ، فقالوا : ﴿سمعنا وأطعنا﴾ ، وخرجوا من عنده وهم يعتقدون أنه الإمام من بعده .

فلما كان فى اليوم الثانى أحضر ولداً آخر من أولاده ، وقال لهم : ﴿هذه عصاى أتوكأ عليها وأهشُّ بها على غنمى﴾ ، فقالوا : ﴿سمعنا وأطعنا﴾ ، وخرجوا من عنده وهم يعتقدون أنه الإمام من بعده .

فلما كان فى اليوم الثالث أحضر مولانا العزيز بالله ، وقال لهم هذه : ﴿ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ [2] ، فخرجوا من عنده ولم يشكُّوا فى أنه الإمام من بعده .

وليست الحال فى إسماعيل وموسى كحال الإمام المستعلى بالله ونزار ، وذلك أن موسى جعل ستراً ، إذ كان الزمان زمان ستر ، وأما نزار فإنما ذكر لتشتغل به قلوب الضعفاء من المؤمنين ، وقرن به فى ذلك عبد الله أخوه ليعلم من له قلب أنهما يجريان مجرى واحداً ، إلى أن ظهر الإمام الحق مولانا المستعلى بالله ، فحقق النص عليه ، وأفردت الإشارة إليه . وقد أوضح هذا مولانا الآمر بأحكام الله فى الهداية غاية الإيضاح .

---

[1] راجع ما فات هنا ، ص ٦٩ ، هامش ١ .

[2] سورة طه الآية ١٨ .

وأما قولهم : إن الحسن والحسين قَتَلَ أحدُهما صاحبَه أو قاتلُ الحسين يزيدُ اللعينُ ، وقصة هابيل وقابيل ، فالجواب على هذا التلبيس ، والتعلق الخسيس ، كيف يقتل الحسنُ الحسينَ ، وهما إمامان قد نصّ أحدُهما على الآخر ؟

وأما قولهم : إن يزيدَ اللعينَ قتل الحسينَ ، وأن ابنَ آدم قتل أخاه ، وكانت هى إشارتهم إلى أن القاتلَ ظالمٌ والمقتولَ مظلومٌ ؛ وهذا قول من لا ينظر بنور ، ولا يعرف قبيلا من دبير ، ذلك أنه ليس كل مقتول مظلوم ، ولا كل قاتل ظالم ، ألا ترى أن داؤد قتل ابنه اشلوم لما خرج عليه ، فهل تقول إن داؤد هو الظالم البعيد عن الله ، وابنه هذا أشلوم المظلوم القريب من الله ؟ هذا ما لايقوله عاقل ولا يراه محصّل ، بل لا شك فى أن كل خارج على الإمام ولو كان أخاه أو ابنه فقد حلّ دمه ، وقد برئت الذمة منه ؛ ولم يكن الإمام ظالماً فى قتله ، وكذلك الحال فى نزار ، فإنه الذى خرج على الإمام الحق حسداً وبغياً ، وكان الإمام مصيباً فى إمضاء حكم الله فيه ، كما كان داؤد مصيباً فى إمضاء حكم الله فى ابنه أشلوم ؛ وأما الحسين فهو مظلوم فى قتله ، لأنه منصوص عليه ، وقاتله فاجر بجماع الأمة ؛ وكذلك ابن آدم ، فهو مظلوم فى قتله ، لأنه قتل على جهة التعدى والحسد لا على جهة إقامة الحق ، فقد تعدى القائل فى التشبيه ، ولم يحصل له كيفية التمثيل فيه ، هل يشك أحد أن الحسين لو قدّرنا أنه خرج على الحسن أو على أبيه فقُتل كيف كنت تجعله حينئذ من المظلومين أو الظالمين ، وكذلك لو خرج نزار على أبيه المستنصر بالله كما خرج على أخيه المستعلى بالله فقُتل أتجعله مظلوماً أم ظالماً ؟ أليست هذه تلبيسات على الجهال ، وحيل فى أخذ النجاوى [1] والأموال ؟

---

[1] النجوى ، والجمع : نجاوى . كانت قيمتها على كل فرد فى العصر الفاطمى ثلاثة دراهم وثلث . انظر : (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٦) .

يا أبناء الدعوة المستبصرين أما علمتم أن الإمامة دون شك في أحد أولاد المستنصر بالله إذ لا تخرج عنهم ، وأما سائر أولاده فلم يدعها أحد منهم ولا ادعيت فيه ، فلم يبق إلا الإمام المستعلي بالله ونزار ، فأما نزار فالذي جرى عليه دليل على بطلان إمامته إذ قد أجمع أهل الدعوة وثبت في مستور الأئمة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أن الإمام لا يظهر بعد الحسين ، فيدعو لنفسه إلا تمّ أمره وظهرت دعوته ، وظفر بمن نازعه ، فلما جرى على نزار ما جرى علمنا ضرورة أنه ليس بإمام ، فثبتت الإمامة لمولانا المستعلي بالله مع ما انضاف إلى هذا من النصوص المأثورة والإشارات المشهورة.

وأما قولهم : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [1] . فهذا به ندين ، وإياه نقول ، وذلك أن لنا أُسْوَةٌ حسنة في الإمام المستعلي بالله والذين معه إذ قالوا لنزار وأصحابه : إنا بُرَاءُ منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، فهذا إيضاح ما موّهوه وما التبس عليكم ، فاعتبروه أيها المؤمنون ، وافهموه .

وأنا استغفر الله لي ولكم ، وأسأله أن يعصمني وإياكم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [2] .

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

[1] سورة الممتحنة ، الآية ٤ .

[2] سورة النحل الآية ١٦ .

٦

نوع الوثيقة : بيعة (أو سجل بيعة).

موضوعها : إعلان خلافة الحافظ لدين الله بعد وفاة ابن عمه الآمر بأحكام الله وطلب البيعة له .

صادرة عن : الحافظ لدين الله ، (والوزير أبو الفتح يانس الحافظى) .

إلى : كافة أهل الدولة ، شريفهم ومشروفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وأحمرهم وأسودهم .

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : ٣ ربيع الأول سنة ٥٢٦ هـ (راجع المقدمة التحليلية) .

كاتبها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : ابن الصيرفى صاحب ديوان الرسائل (راجع المقدمة التحليلية) .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٩١ – ٢٩٧).

هذه نسخة بيعة (١٣) كُتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي بعد وفاة ابن عمه الآمر بأحكام الله ، قام بعقدها الوزير أبو الفتح يانس (١٤) الحافظي ، اقتصر فيها على تحميدة واحدة ، وعَزَّى بالخليفة الميت ، ثم انتقل إلى مصود البيعة ، وهي :

من عبد الله ووليِّه عبد المجيد أبي الميْمون ، الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى كافة أهل الدولة شريفهم ومشروفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وأحمرهم وأسودهم ، وفَّقهم الله وبارك فيهم .

سلامٌ عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمَد إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمدٍ خاتَمِ النبيين وسيِّد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديِّين ، وسلم تسليما كثيراً .

أما بعد ، فالحمد لله اللطيف بعباده وبَرِيتَّه ، الرَّءُوف في أقداره وأقضيته ، المهيمن فلا يخرج شيءٌ عن إرادته ومشيئته ؛ ذى النعَّم الفائضة الغامرة ، والمنن المتتابعة (٢٩٢) المتظاهرة ، والآلاء المتوالية المتناصرة ، القائل في محكم كتابه : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [1] مدبِّر أرضه بخُلفَائه ، الذين هم زينةٌ للدنيا وبَهْجَةَ ، وهادى خَلْقِه بأوليائه ، لئلا يكون للنَّاسِ على الله حُجَّة ؛ فسبحان الذى هو للنعم مُسْبِغ وبالكرم جدَير ، و ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

---

[1] سورة إبراهيم ، الآية ٢٧ .

[2] سورة الملك الآية ١ .

يحمده أميرُ المؤمنين أنْ جعَلَهُ خليفةً دونَ أهل زمانِهِ ، وأوجبَ ثوابَ المستجيبينَ له بكَفَالته وضمانه ، وجعلهم يَوْمَ الفَزَع الأكبر مكنُوفين بحفظه مشمولين بأمانة ، وأوْزَعَه الشكرَ على ما استرعاه إياه من أمر هذه الأمة ، ونقله إليه من تراث آبائه الهُداة الأئمة ، وكشفه بإمامته من أفجع نائبة وأفظع مُلِمَّة .

وصلى اللهُ على جدنا محمدٍ رسولِه الذى أخبر الأنبياء المرسلونَ بصفتِه ونعتِه ، وتداولوا البُشرى بما يَسْتَقْبَلُ من زمانه وَ بعْثِهِ ؛ وذكروه فيما أتوْا به من كل كتاب أوحاه اللهُ وأنزله ، واعترفوا بأنه أفضلُ من كلِّ من نَبَّأه الله وأرْسَله ، فَيَسَّر اللهُ سبحانه ما كان مُرْتقباً من ظهوره ، وأذِنَ في إشراق الأرض بما انتشر في آفاقها من نورِه، وبعثه - جلَّتْ قُدْرتُه - إلى الأمة بأسرها قاطِبَة ، وجعل ألسنة الأغماد مجادِلةً لمن خالف شرعَه مخاطِبَة ؛ فكان لآية الكفر ماحياً ، وفي مصالح البريّة ساعياً ، وإلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة داعياً ، إلى أن لَمَعَتْ آياتُ الحقِّ وسَطَعتْ ، وانحسمتْ مادَّةُ الباطل وانقطعت ؛ وظهر من آياته ما كَبُر له المُخْبِتُون ، واشتهر من معجزاته ما خُصِم به المتَعَنِّتُون ، وخاطبه الله فيما أنزلَ عليه بقوله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [1] ؛ فحينئذ نقله اللهُ إلى ما أعدَّ له من جناته ، وخصَّه بشرف الشفاعة (٢٩٣) في يوم مجازاته ، وَصدَقه وعْدَه فيما بَوَّأه من النعيم المقيم : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [2] .

وعلى أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أوْلى الناس بالنبي ، وأوَّلُ من اتبعه من ذوي قرابة وأجنَبيّ ، وابنِ عمِّه الذي اختصَّه بمؤاخاتِه ، وجعله خليفةً على كافة الناس بعد وفاتِه ؛ وتحمَّل بأمر الله ، فيما ولاَّه وأولاه ، وخطبَ الناس في حَجَّة الوَدَاع فقال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاَه فَعَلِيٌّ مَوْلاه » ، وعلى آلها الكرام

---

(1) سورة الزمر الآية ٣٠ .

(2) سورة الحديد الآية ٢١ .

والأبرار وعترتهما المصطفين الأخيار ، وهُداةِ المسلمين وقُدْوَتِهم ، وأمراء المؤمنين وأئمتهم ؛ الذين حكموا فَأَقْسَطوا ، وسلك الحاضِرُون منهم سنَنَ أسلافهم الذين فَرَطُوا ، واقتفوْا آثارهم في السياسة فما قَصَّرُوا ولا فَرَّطُوا ؛ ولم يزل كلٌّ منهم عاملاً من ذلك بما حَسَّن أيامَه ، فاعلاً في أمر الدين ما رفع منارَه ونشر أعلامه ، حتى اختار الله له ما عنده فنصَّ على مَنْ أقامَه الاستحقاقُ مقامَه ؛ وسلَّم عليهم أجمعين سلاماً لا انقضاءَ لأمده ، ولا انقطاعَ لمدده ؛ فَنَيْلُ المطالب بكرمِه وملـــكوتُ كل شيٍ بيده .

وإنّ الحق إن خَفَي حينا فلا بدَّ لهلاله من الإبْدَار وانبساطِ النور ، وإنَّ الشمس وإن توارتْ بالحجاب فما أوْشَكَ عَوْدَتَها إلى البزوغ والظهور ، وإنّ حسنَ الصبر إلى أن يبلُغَ الكتابُ أجلَه يُؤمَّن من تَدْلِيَة الشيطان بالغُرور ؛ قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه الذى هدانـــاه بـــــه : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [1] .

وإنَّ الله تعالى لرأفتِه بمن ابْدَعَهُ من خَلْقِه وأنْشاه ، ولسابقِ علمِه في عمارةِ هذه الدار على ما ارادَه عزَّ وجلّ وشاه ، لا يُخْلي الأرضَ من نورٍ يستضيء به الساري في الليل البهيم ، ولا يَدَعُ الأمة بلا إمام يهدى إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم ، فهو جلّ وعَلاَ أعْدَلُ من أن يجعل جِيدَ الإيمان من حِلى الإمامة عاطلا، أو يَتْرُكَ (٢٩٤) الخلقَ هَمَلا ، وقد قال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [2] ، بل يقْطَعُ أعذارَ العِبَاد فيما خلقهم له ووقَفَهم ، ويَهْدِيهم بالأئمة إلى التوفر على عمل ما ألزمهم وكَلَّفهم ، فالأمور محروسةُ الترتيب محفوظةُ النظام، والأرضُ إذا أظلمتْ لفقْد إمامٍ ، اضاءتْ وأشرقتْ لقيام إمام ، وقد عَلِمَ

---

[1] سورة آل عمران الآيـة ١٨٦ .

[2] سورة ص الآيـــة ٢٧ .

الكافةُ أن حُجّةَ الله في أرضه ، والمُجْتَنِبَ من الأعمال ما لم يُرْضِه ، والمحسنَ إلى البريَّة ببعثِه على المصالحِ وحَضِّه ، الإمامَ الآمرَ بأحكام الله أميرَ المؤمنين الذى آتاه اللهُ الحكمَ صبيًّا ، ورفعه من إرْث النبوَّة مكاناً عليًّا ؛ واستخلفه على خلْقِهِ فكان للفضلِ باسطاً ولرأية العدل ناشراً ، وجعله لشَمْل المحاسن جامِعاً ، ولأئمة الخلفاء الراشدين عاشرا ، لم يزلْ ناظراً في البعيد والقريب ، عاملا في سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ، مستقصياً حِرْصه في المحافظة على إعزاز الملة ، مستنفداً جهدَه في الجهادِ فيمن خَالَفَ أهل القِبْلة ، باذلاً من جزيل العطاء وكثيره ما لا يُعرَف معه أحدٌ من خاصّته بالفقر ، ولا يُنسب معه إلى القِلّةِ ، حتى استوفى مُدّتَهُ الموهوبة ، واستوعب غايته المكتوبة ؛ وناله من القضاء ما أخرجه من الدنيا سعيداً ، وأقدمه على الله شهيداً ، واصاره إلى ما أُعِدّله من نعيم لا يريد به بديلا ، ولا يطلب عليه مَزِيداً ؛ وكان انتقاله إلى جوار ربه تبارك وتعالى ، كانتقال أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب بَغْياً من الكافرين واغتيالاً .

وقد كان يَذْكُر ما يعْلَمُه من حقّ أمير المؤمنين تارةً مجاهداً وتارة مخافتاً ، إلى أن صار على بَسْط القول في ذلك وتبيينه مثابراً متهافتاً ، وأفصحَ بما كان مستَبْهماً مستعْجِماً ، وصَرّح بما لم يَزَلْ في كشفه ممرِّضاً وعن إفصاحه مُحْجماً ؛ وذلك لمـّا ألفاه أشرفَ فَرْع من سِنْخ [1] النبوة ، ورآه أكرم في فَخَارة الأُبُوَّة ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم (٢٩٥) عمّه سلامُ الله عليه الذى هو سليلُ الإمامة القليلُ المِثْل ، ونجلُ الخلافةِ المخصوصُ من الفَخْر بأجزلِ حظٍّ وأوْفَر كفْل ؛ كان المستنصر بالله أميرُ المؤمنين سمّاه وليَّ عهْد المسلمين ، وتضمن ذلك ما خرجتْ به توقيعاتهُ وتسويغاتُه إلى الدواوين ، وثُبّت في طُرُز الأبنية[2] ، وكُتُبِ

---

[1] السِّنْخُ : الأصل من كل شيء (اللسان) .

[2] انظر ما فات هنا ص (٢٦) .

الابتياعات والأشْرِيةَ ، ولمته الـكافةُ علماً يقيناً ظلّت فيه غيْرَ مرتابة ولا ممتَرِية ، وفى ضمن ذلك باطنٌ لا يعقله إلا العالمون ، ولا ينكره إلا من قال فيهم : ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [1] .

وذلك أن أميرَ المؤمنين الغرضُ والمَقْصَد ، والبُغْيَةُ والمَطْلَب ، وله عهد بالتلويح والإشارة ، وإليه أوحى بالنصّ وإن لم يُفصح فيه بالعبارة ؛ وكان والدُه الأميرُ أبو القاسم – قَدّسَ اللهُ روحَه – بمنزلة الأشجار التى يُتأنّى بها إلى أن يظهر زهرُها ، والأكمامِ التى يُنْتَظَرُ بها إلى أن يخرج ثمرُها ؛ والزَّرَجُونه التى نَقَلتِ الماء إلى العُنْقود ، والسحابةِ التى حملتِ الغيْثَ فعم نفعُه أهلَ السهول والنجودِ .

ومما يُبَيِّن ذلك ويوضّحه ، ويحققه ويصحّحه ، وتَثْلَج به للمؤمنين صُدور وتقوى أفئدة ، وتشهد البصائرُ أن النعمةَ به على الإسلام متتابعةٌ متجدّدة ، أنّ الأمريْن إذا تشابها من كلّ الجهات ، وكانت بينهما مُدَدٌ متطاولاتٌ متباعدات ، فالسابقُ منهما يُمَهِّدُ للتالى ، والأولُ أبداً رمزٌ على الثانى ؛ ولا خِلافَ بين كافّة المسلمين فى أن الله تعالى أمر جدّنا محمداً – صلى الله عليه وسلم – بعَقْد ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب – صلى الله عليه – فعقدهـــا له يومَ غَدير خُمّ [2] ، وأمير المؤمنين علىٌّ ابنُ عمه وكان له حينئذ عَمٌّ حاضر ، وامضى ما أُمر به والإسلام يومئذ غَضٌّ وعودُه ناضر ؛ وكذلك أنّ أمير المؤمنين ، هو ابنُ عمّ الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ، وقد نصّ مع حضور عمومته عليه ، وفَعَلَ ما فعل جدُّه رسول الله اقتداءً به وانتهاءً إليه ، وكان أبو على المنصورُ الإمام

---

[1] سورة العنكبوت ، الآيـــة ٤٩ .

[2] انظر ما فات هنا ، ص ١٨ ، ٧٢ هامش ١ .

الحاكمُ بأمــــــــر الله أميرُ المؤمنين – صلوات الله عليه – جعل ابن عمه [1] عبدَ الرحيم [بن] (1) إلياسَ وَلِيَّ عهد المسلمين ، ومَيَّزه بذلك (٢٩٦) على كافة الناس أجمعين، ونقش اسمه في السِّكَّة [2] ، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكَّة ، وألْبَسه شَدَّةَ الوَقَار [3] المرصَّعة بالجوهر ، واستنابه عنه إمام الأعياد في الصلاة وفي رُقِيِّ المِنْبَر ، وأقامه مُقَام نفسه في الاستغفار لمن يُتوفَّى من خواصِّ أوليائه ، وفي الشفاعة لهم بمتَقَبَّل مناجاته ، ومسموع دُعائه ، مع علمه أنه لا ينَالُ رتبةَ الخلافة ، ولا يبلغ درجةَ الإمامة ، وأن الإمام الظاهرَ لإعزاز دين الله – صلى الله عليه – هو الذي خُلق لها ، وحين حُمِّل أعباءَها أقَلَّها وما استثْقَلَهَا .

وإنما تحت ذلك معنى لطيفٌ غامض ، وسرٌّ عن جُمْهور الناس مستتِرٌ وبرقُه لأولي البصائر وامض : وهو أنَ مكنونَ الحكمة ، ومكتومَ عِلْمِ الأمة ، يدُلَّان على أنَّ الإمامَ المنصورَ أبا علي ، سيفعل فيمن يستخلفه بعده مثلَ فعل النبي ؛ وقد علم الإمام الحاكم – عليه السلام – أنَّ المرادَ بذلك مَنْ يأتي بعده ممن أولده أو أنسَله ، لأنَّ وَلدَه حاضرٌ والمقصودُ مَنْ لا وَلَدَ له ؛ فجعل ولايةَ عبد الرحيم العهْدَ تأسيساً لما سيكون ، ونَقْلاً للنفوس من الانزعاج إلى أن تشملها الطمأنينة والسكون؛ فلما أفضى اللهُ إلى الإمام المنصور أبي علي الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين بالخلافة التي جعلها واجباً له حقاً ، ووافق جَدّه – عليه السلام – وكان لقَبُه من لقبه مشتقاً ، ظهر المنكتم ، ووضح المستتر ؛ وعاد التعريضُ تصريحاً ، والتمريضُ تصحيحاً ؛ والرمزُ إبَانة ، والنصُّ على أمير المؤمنين أمانة ؛ فاقتدى

---

(1) الأصل : ((ابنه عبد الرحيم إلياس)) ، وهو خطأ ؛ والصحيح ما ذكرنــــــــــاه . انظر المقدمة ؛ و ص ٥٧ ، هامش ١ .

(2) راجع ما فات هنا ، ص ٦٣ ، هامش ١ ؛ ص ٥٧ ، هامش ١ .

(3) راجع ما فات هنا ، ص ٧٤ ، هامش ١ .

بجده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى استخلاف أمير المؤمنين مع حضور عمومته ، وفعل فى ذلك فَعْلتَه وجرى على قضيته ، وكشف غماً أبهمه الإمام الحاكم بأمر الله – قدس الله لطيفته – فتساوى الخاصُّ والعام فى معرفته ؛ ثم حَلَّه أمير المؤمنين محلّ نفسه فى الجلوس على الأسمطة ، وعمل لأوليائه ورعيته فى ذلك بالقضايا المحيطة ، نَصَبه مَنْصِبه فى الصلاة على مَنْ جرتْ عادته بالصلاة على مثله ؛ وجمع فى اعتماد ذلك بين إحسانه وفضله وبين امتنانه وعَدْله ؛ وإذ قد تبيّن هذا (٢٩٧) الأمر الواضحُ الجليّ ، وتساوى فى علمه الثانىء والوليّ ، وعلم هو ما خَصَّ الله به أميرَ المؤمنين من الإمامة ، وأزاله عن العقول من ضبابٍ متكاثف وغَمَامه ؛ وشمله به من فَضْله ورأفته ، ونصَبَه فيه من منصب خلافته ، التى ايّدها الله بوليّه ووزيره ؛ وعضّدها بصفيّه وظهيره ، السيد الأجل أبى الفتح يانس الحافظى ، الذى جعله الله على اعتنائه بدولة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل ، وصَرَف به عن مملكته محذور الصُّروف والغوائل ؛ وأقام منه لمناصحة الخلافة مُخْلصاً جمعَ فيه أسبابَ المناقب والفضائل ؛ وأيده بالتوفيق فى قوله وفعله فأربى على الأواخر والأوائل ، ودلّت سيرته الفاضلة على أنه قد عَمَر ما بين الله وبَيْنه ، وحكمت سنّته العادلة أن كلَّ مدْح لا يبلغ ثناءَه وكلَّ وصف لا يقع إلا دونه ، والله يضاعف نِعَمه عنده ولدَيْه ، ويفتحُ لأمير المؤمنين مشارقَ الأرض ومغاربَها على يديه ، وهذا يحقق أن الإسلامَ قد أحدثَ له قوةً وتمكينا ، وأن ذوى الإيمان قد ازدادوا إيماناً واستبصاراً ويقيناً .

فيجب عليكم لأمير المؤمنين أن تدخلوا فى بيعته منشرحةً صدورُكم طيبة نفوسُكُم ، مجتهدين له فى خدمة تقابلون بها إحسانَه ، متقربين إليه بمناصحة تحظيكم عند الله سبحانهَ عاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يُتَّبَعون فى فعلهم ، ويقع الإجماع بمِثْلهم .

ولـــكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيماً ، وعن الصغائر متجاوزاً كريماً ، وبالكافة رءوفاً رفيقاً ، وعلى الرعايا عطوفاً شفيقاً ، وأن يصفح عن المسيء ما لم يأت كبيرة ، ويُبالغ في الإحسان إلى من أحسنَ السيرة ، ويُولي من الإفضال ما يستخلِصُ الضمائر ، ويُسبغَ من الإنعام ما يقتضي نقاءَ السرائر .

وأمير المؤمنين يسألُ الله أن يعرّفكم بركَةَ إمامته ، ويُمْنَ خلافته ؛ وأن يجتلها ضامنةً بلوغَ المطالب ، كافلةً لكافتكم بسعادة المبادىء والعواقب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * * * *

٧

نوع الوثيقة : سجل .

موضوعها : إعلان من الخليفة الحافظ بولاية العهد من بعده لابنه أبي تراب حيدرة .

صادرة عن : الحافظ لدين الله ، (والوزير أبو الفتح يانس الحافظي) .

إلى : ولده أبي تراب حيدرة ولي عهد أمير المؤمنين .

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : ٣ ربيع الأول سنة ٥٢٦ هـ (انظر المقدمة التحليلية) .

كاتبها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : أبو القاسم بن الصيرفي

المرجع : (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩، ص ٣٧٧ – ٣٧٩) .

هذه نسخة عهد كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي ، لولده حيدرة بأن يكون وليَّ عهد الخلافة بعده ، وليس فيها تعرُّض لتحميد أصلا ، وهو :

« من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى ولده ونَجْله ، وسلالته الطاهرة ونسله ، والمُجْمَع على شرفه والعامل بمرضاة الله في قوله وفعله ، وعَقْده وحلِّه ؛ الأمين أبي تُراب حَيْدَرة ، وليّ عهد أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلامٌ عليك : فإن أمير المؤمنين يحمد إليكَ اللهَ الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتمَ النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليماً .

أما بعدُ ، فإن الله تعالى لبديع حكمته ، ووسيع رحمته ، استَوْدَع خلُفاءه مَنْ خَلَقه وبَرأه ، واستكفى أُمناءَه مَنْ صوَّره وَذَرأه ؛ ورتَّبهم مَرْتَبَةَ النفوس من الأجساد ، (٣٢٨) ونزَّلهم بمنزلة الضِّياء من الأزْناد ، وجعلهم مستخْدِمين لأفكارهم في مصالح البريةً التي غَدَتْ في أمَانِهم ، وحصَلتْ في ضَمَانِهم ؛ فظلَّت في ذِمامهم ، وسعَدِت في عِزِّ مَقَامِهم وظلِّ أيامهم : لأنهم نُصِبوا للنظر فيما جَلَّ ودَقّ ، وتَعِبُوا لراحة الكافَّة تَعَباً صَعُبَ وعَظُم وشَقّ ؛ وكان ذلك سِرًّا من أسرار الحكمة ، وضرْباً من أفضل تدبير الأمة ؛ إذ لو ساوى بين الرئيس والمَرْءُوس ، والسائس والمَسُوس ؛ لاختلط الخصوص بالعموم ، ولم يَبْقَ فرقٌ بين الإمام والمأموم .

وقد استخلص الله أمير المؤمنين منْ أشرَفِ أُسْرة وأكرمِ عِصَابة ، وأيَّده فى جميع آرائه بالحَزَامة والجزالة والأصالة والإصابَة ؛ وقضى لأغراضه أن يكونَ السعدُ لها خادماً ، وختم لمقاصده أن يُصاحِبَها التوفيق ولاَ ينْفَكَّ لها مُلازِماً ؛ وجمع له ما تفرَّق فى الخليقة من المفاخر والمناقب ، وألهمه النَظَرَ فى حُسْن الخواتم وحميد العواقب .

ولما كان وليُّ عَهْدِ أمير المؤمنين أكبَرَ أبناء المؤمنين ، والمنتَهِى لأشرف المراتب من تقادُم السِّنين ؛ وقد استولى على الفَخْر باكتسابه ، وتصدَّت له مخطوباتُ الرُّتب ليحُوزَها باستحقاقه واستيجابه ؛ وله من فضيلة ذاته ما يدُلُّ على النبأ العظيم ، وعليه من أنور النبوّة ما يهتدى به السارى فى الليل البهيم ؛ وحين حوى تالِدَ الفخر وطارفَه ولم يستَغْنِ بالقديم عن الحديث ولا بالحديث عن القديم؛ والصِّفاتُ إذا اختلفَتْ أربابُها لا تقَع إلا دُونهَ ، والثوابُ الجزيلُ مما أعدّه الله للذين يُخْلِصُون فيه ويتولَّونه ؛ ولْيفخَرْ بأنْ خُصَّ من العناية الملطوتية بالحظّ الأجْزَل ، ولْيسَمُحْ على البرايا ليكون ممدوحاً بالكتاب المَنَّزل ؛ ولْيَبْذَخ فإنَّ وصْفَه لا تُبْلَغ غايتُه وإن استخُدِمَتْ فيه الفِكَر ، ولْيَبْجَحْ فإن فضلَه لا يُدْرك حقيقةً إلا إذا تُليت السُّوَر ، فأمتعه اللهُ بمواهبه لدَيْه وأمتع أمير المؤمنين به ، وأجْرى أمورَه عاجلا وآجلا بسببه .

(٣٧٩) رأى أميرُ المؤمنين أن يختَصَّه بولاية عهد أمير المؤمنين تمييزاً له بهذا النعْت الشريف ، وسُمُوًّا به إلى ما يجب لمجده الشامخ ومحلِّه المنيف ، واقتداءً بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يُشَرِّفُون به ابناءَهم الأكْرَمين ، وتخصيصاً به بما يبقى فخرُه على متجدِّد الأزمات ومتطاول السنين .

وأمر أمير المؤمنين أن يُتَخَيَّر من رجال دولته ، ووجوه أجناده وشيعته ؛ طائفةٌ يكون إليه انتماؤها ، وإلى شرف هذا النعْت انتسابُها واعتزاؤها ؛ فتُوسَمُ بالطائفة العَهْديَّة ، وتَحْظى إذا أخلصتْ في الولاية بالسعادة الدائمة الأبديَّة ، وتظلُّ موقوفةً على خدمته ، متصرِّفةً على أوامره وأمْثِلَتِه ، منتهيةً في طاعته إلى أغراضه ومآربِه ، ملازمةً لِلأزم المَتَعَيِّن من ملازمةً الخدمة في مواكبه .

والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافلا بالخيرات ، ضامنا لشمول المنافع وعموم البركات؛ إن شاء الله تعالى .

والسلام على ولِّي عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

* * * * *

٨

نوع الوثيقة : سجل ببيعة .

موضوعها : إعلان البيعة لولي عهد بعد موت العاهد وأثناء تولي المتهود إليه ، ولم يرد فيها ذكر للوزير القائم .

صادرة عن : لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : الظافر بأمر الله بن الحافظ لدين الله (انظر المقدمة) .

إلى : إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمرائها وأعيانها ، وكبرائها وأوليائها ، على اتساع شعوبهم ؛ وعساكرها على اختلاف ضروبهم ، وقبائل عربها القيسية واليمنية ، وكافة من تشمله أقطارها من أجناس الرعية : الأمير منهم والمأمور ، والمشهور منهم والمغمور ، والأسود والأحمر ، والأصغر والأكبر .

تاريخها : لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ (انظر المقدمة) .

كاتبها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : أبو الحجاج يوسف بن محمد بن الخلال (انظر المقدمة) .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٨٦ – ٢٩١) .

وهذه نسخة بيعة لولّى عهْد بعد موت العاهد ، كُتب بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرُّض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

« من عبد الله ووليِّه (أبي فلان ، فلان بن فلان) الإمام الفلاني بأمر الله تعالى أمير المؤمنين .

إلى مَنْ يضمه نِطَاقُ الدولة العلوية : من أُمَرائها وأعيانها ، وكبرائها وأوليائها؛ على اتِّساع شعوبهم ، وعساكرها على اختلاف ضروبهم ، وقبائل عربها القَيْسِيَّة واليَمَنِيَّة ، وكافَّة من تشمَله أقطارُها من أجناس الرعيّة : الأمير منهم والمأمور ، والمشهور منهم والمغمور ، والأسودِ والأحمر[1] ، والأصغر والأكبر ؛ وفّقهم الله وبارَكَ فيهم .

سلامٌ عليكم ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يحمَدُ إليكم اللهَ الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على محمدٍ خاتَم النبيين ، وسيِّدِ المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فالحمد الله مُولي المَنِّ الجسيم ، ومُبْدِي الطَّوْل العميم ، ومانح جزيل الأجْر بالصبر العظيم ؛ مُفيد النعم المتشَعِّبة الفنون ، ومُدْنِي المُهَج المتعالية لتناولِ المَنُون ؛ ومُبيدِ الأعمار ومُغنيها ، وناشرِ الأموات ومُحْييها ؛ والفاتح إذا استغلقت الأبواب ، والقائل : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [2] . الذي لا يغير مُلْكَه مرورُ الغِيَر ، ولا يَصْرِف سلطانه تصَرُّفُ القَدَر ؛ ولا يُدْرَكُ قِدَمُه وأزليته ، ولا يَنْفَدُ بقاؤه وسرمديته ، مُسْلِم الأنام للحمام ، ومُضْمِي الأنفس بسهام الاختزام ، ومُورِدِ البشر

---

[1] انظر ما فات هنا ، ص ٣٧ ، هامش ٢ .

[2] سورة الرعد الآية ٣٨ .

من المنيَّة مَنْهَلا ما بَرِحُوا فى رَنْقِه يكْرَعُون ، ولمُرّه المُشْرِق يتجرعون ، ومعزز ذلك بقوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [1] .

والحمد لله الذى نَصَب الأنبياء لمراشده أعلاما ، وحَفِظ ببعثِهم من الحقّ والهُدى نظاما ؛ وجعل نبوّة جدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – لنبواتهم ختاماً ، وعَضَّد بوصيّة أبينا (٢٨٨) أمير المؤمنين على بن أبى طالب كمالاً للدّين وإتماماً؛ واستخلص من ذريتهما أئمة هادين إتقاناً لصنعتِه وإحكاماً ، وأقام الحُجّة على الأمم بأن أقام لكل زمان منهم إماماً ، وعاقَبَ بين أنوار الإمامة فإذا انقبض نورٌ انبسط نور ، وتابع ظهور بدوره ليُشْرِقَ طالعٌ إثر غاربٍ يغور ؛ رحمةً شاملةً للعالمين، وحكمةً تامةً حتى يَرِث الله الأرضَ ومَنْ عليها وهو خير الوارثين ، ولم يُخْلِ نبياً مع ما شرَّفه [به] من تناولِ وَحْيه وتلقيه ، ولا عَصَم إماماً مع اختصاصِه بفروع مَنْصِب الإمامة وتَرَقِّه ، من لِقاء المنيّة ، ووَدَاع الأمنية ؛ بل أجَّل لكل منهم أجلاً مكتوباً ، وفَسَح له أمداً محصوراً محسوباً ، ولا يصرِفُه عن وصوله فضيلة ، ولا يَصِل إلى تجاوزه بقوةٍ ولا حيلة ، قدْرةٌ محكمة الأسباب ، وعبْرَةٌ واضحة لأُولى الألباب ، وقضيةٌ أوضحها قُرْقانُه الذى أقَرَّ بإعجازه الجاحدون ، إذ يقول مخاطباً لنبيه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [2] .

والحمد لله الذى منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامةِ وأنوارِها ، وحازَ له من ذخائرها وأودعه من أسْرارِها ، ما خوَّله فاخِرَ تُراثِها ، وأصار له شرفَ ميراثها؛ وجعله القائمَ بحقِّه ، والمرشدَ لخلقِه ، والماحِيَ بهُداه ليْلاً من الضلال بهيما ،

---

[1] سورة الأنبياء الآيــة ٣٨ .

[2] سورة الأنبياء الآيــة ٣٤ .

والحاوى بخلافتــه مجداً لا يزالُ ثناؤه عظيماً : ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (١)

يحمده أمير المؤمنين على أنْ أوضَحَ بآبائه الأئمة سُبُلَ الحقائق ، فأصبحوا خلفاء الخالِق وأئمّة الخَلاَئق وخوّله ما اختصهُم به من الإمامة ، ورفعه بها إلى أشْمَخ منازِلِ العُلاَ وأرفَع مَواطِن الكرامة ، ويستمِدُّه شكرا يُوَزِى النِّعَمَ التى أثبتَتْ [له] على سرير الخلافة وسِرِّها قَدَما ، وصَبْراً يُوَازِنُ الفجيعةَ التى قَلَّ لها فيضُ المَدَامع دما .

ويسأله أنْ يصلى على جدّه محمدٍ الذى فَضَّ بجهاده جُموعَ الإلحاد ، وحصد باجتهاده مَنْ مَالَ عن الهُدى وَحَاد ، وصَدَعَ بما أُمِرَ به حتى عَمّ التوحيد ودانَتْ لُمعْجِزَاتِه الأممُ وقد دَعَاها وهو المُفْرَدُ الوحيد ؛ ولم يزلْ مبالغاً فى مَرْضاة ربِّه ، حريصاً على لإظهار دينه بيده ولسانه وقلبه ، حتى استأثر به وقَبَضه ، وبدَّله من الدنيا شرفَ جِوارَه وعوَضَهْ ؛ وأصاره إليه أفضلَ نبى بَصر وَبشَّر ، وأحيا دينَ الله وأنْشَر ، وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب إمامِ الأُمَّة ، وأبى الأئمة؛ وقُدوةِ السعداء ، وسَيد الشهداء ؛ وعاضد الدين بذى الفَقَار ، ومَنْ لم يزل الحقُّ إلى ذَبِّه شديدَ الافتقار ، صلى الله عليه وعلى آبائه والأئمة من ذريتهما الذين أيقظُوا العُقولَ بإرشادهم من السِّنَة ، وأفاضوا من العَدْل والإحسان ما ألْهَجَ بتمجيدهم الألْسِنة .

وإنَّ الإمامَ الفلانى لدين الله أمير المؤمنين كان وليًّا لله شرَّفه الله واستخلصه، وأفرده بإمامة عَصْره وخَصَّصه ؛ وفوَّض إليه أمرَ خلافتِه ، وأحلَّه محلاً تَقَعُ مطارحُ الهِمَمِ دونَ علوّه وإنافِته ، فقامام بحقّ الله ونَهَض ، وعمل بأمره فيما سَنَّ وفَرَض ؛ وقَهَر الأعداءَ بسطواته وعزائمه ، وصَرَّف الأمورَ بأزمَّة التدبير

---

(١) سورة النساء الآية ٧٠ .

وخزائمه؛ وبالغ فى الذَّبِّ عن أشْياعِ الملة ، واجتهد فى جِهَاد أعداء القِبلة ، ووقف على مصلحة العبادِ والبلادِ أمَلَه ، ووَفَّر على ما يُحْظِى عند اللهِ قولَهُ وعملَه ، ولم يترُكْ فى مَرْضاة خالقِه مشَقَّةً إلا احتمالها ، ولا رويَّةً إلا صَرَّفها فى إرشادِ خلقه وأعْملَها ، حتى بلغ الغايةَ المحدودة ، واستكمل الأنفاسَ المعدودة ، وأحسنَ اللهُ له الاختيار ، وآثَرَ له النُّقلة من هذه الدار ، والزُّلفى بسُكنى دار القرار ، والفُزَ بمصاحبة الأنبياء الأبرار ، والحلولَ فى حظائر قُدُسه مع آبائه الأئمة الأطهار ؛ فسار إليه طاهِرَ السريرة ، جميلَ المَّهَبِ والصُّورة ، مستوجباً بسعْيه أفضلَ رضوانِه ، ممهداً بالتقوى لتدبيره أكناف جنانه .

وأمير المؤمنين [يحتسب] عند الله هذه الرَّزِيَّةَ التى عظمَ بها المصاب ، وعظم عند تجرعها الصَّاب ، وأضْرَمت القلوبَ ناراً ، وأجْرتِ الآماقَ دَماً مُمَاراً ، وأطاشت بهَوْلِها الأكبادَ بالحَرق ، وكَحَلَتِ الأجفانَ بالأرَق ؛ وكادتْ لهجومها الصدورُ تَقْذِف أفئدتَها ، والدنيا تنْزِع نَضْرتها وبهجَتَها ، وقواعدُ المِلَّة تضْعُف وتَهِى ، والخطوبُ الكارثُة تُصِرُّ ولا تنتهى ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، تسليماً لأمره الذى لا يُدْفَع ، وإذعاناً لقضائه الذى لا يُصَد ولا يُمْنَع .

وكان الإمام الفلانى لدين الله أمير المؤمنين عند نُقْلته جعل لى عَقْدَ الخلافة، ونصَّ علىَّ بارتقاء منصبها المخصوص بالإنافة ، وأفضى إلىَّ بسرها المكنون ، وأودعنى غامضَ علمها المصون ، وعَهِدَ إلىَّ أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف والحنان ، والرحمة والغُفْران ، والمنّ الرائقِ الذى لا يكدِّره امتنان ، وأن أكونَ لأعلام الهُدى ناشراً ، وبما ارضى الله مُجاهِراً ، ولأحزاب القبلة مُظافراً مُظاهراً ، ولأعدائه الملة مُرْغِماً قاهراً ؛ ولمنار التوحيد رافعاً ، وعن حَوْزة الإسلام بغاية الإمكان دافعاً ، مع علمه بما خُصِصْتُ به كَرَم الشَّيم ، وفُطِرْتُ عليه من الخلال القاضية مصالح الأُمَم ، وأُتيتُه من استحقاق الإمامة واستيجابها ، ومُنِحتُه من الخصائص المُبْرِمة لأسبابها .

فَتَعَزَّوْا جميعَ الأولياء ، وكافَّة الأمراء ، وجميعَ الأجناد ، والحاضر من الرعايا والباد ، عن إمامكم المنقول إلى دار الكرامة ، بإمامكم الحاضر الموجودِ الذى أورثه الله مقامَه ؛ وأدخلوا فى بيعته بصدورٍ مشروحةٍ نقيَّة ، وقلوب على محْض الطاعة مَطْويَّة ، ونِيَّات (٢٩١) فى الولاء والمشايعة مَرْضيّة ، وبصائرَ لا تزال بنور الهُدى والاستبصار مُضِيّه .

وأمير المؤمنين يسألُ الله أن يجعلَ إمامتَه محظوظةً بالإقبال ، دائمةَ الكمال ؛ صافيةً من الأكدار ، معضودةً بمواتاة الأقدار ؛ ويوالى حمده على مَا منحه من الاصطفاء الذى جعله لأمور الدين والدنيا قِوَاماً ، وأقمه للبريَّة سيِّداً وإماماً ؛ فأعلموا هذا واعملوا به؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى يوم كذا ، من شهر كذا ، سنة كذا .

* * * * *

٩

نوع الوثيقة : سجل ببيعة .

موضوعها : إعلان من الخليفة القائم بالحكم بولاية العهد لابنه من بعده .

صادرة عن : لم يذكر (انظر المقدمة)

إلى : لم يذكر (انظر المقدمة)

تاريخها : لم يذكر (انظر المقدمة)

كاتبها : على بن خلف .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٨٦ – ٣٨٩) نقلاً عن (على بن خلف : مواد البيان) .

نسخة بولاية العهد زمن الفاطميين أوردها على بن خلف من إنشائه فى كتابه : « مواد البيان » .

« الحمد لله مُعِزِّ دينه بخلفائه الراشدين ، ومرتِّبِ حقه بأوليائه الهادين ، الذى اختار دين الإسلام لصفوته من بريَّته ، وخصّ به من استخلصه من أهل طاعته ، وجعله حبله المتين ، ودينه الذى أظهره على كل دين ، وسبيله الأفسح ، وطريقة الأوضح ؛ وابتعث به نبيَّه محمد – صلى الله عليه – فصدع بأمره ، وأعْلَنَ بذكره . والناسُ فى فَتْرة الضلالة ، وغَمْرة الجهالة ، فلما أنجز فى نُصرة حَقِّه ، وتأييده لسعداء خَلْقه [قبضه] [1] إليه محمودَ الأثر ، طيِّب الخبر ، [وقام] [1] بخلافته من انتخبه من طَهَرة عِتْرته ، وأودعهم حكمتَه ، وكفَّلَهم شريعتَه ، فاقتفوْا سبيله ، واتبعوا دليله ، كلما قَبَضَ منهم سلفاً إلى مقر مجده ، اصطفى خَلَفًا للإمامة من بعده .

يحمده أمير المؤمنين أن أفضى إليه بتُرَاث الإمامة والرسالة ، وهدى به كما هدى بجده من الزّيْغ والضّلاَله ، واختصّه بميراث النبوة والخلافة ، ونصَبَهَ رحمةً للكافةْ ؛ وأتمّ نعمته [عليه] أتمّها على آبائه ، وأجزل حظَّه من حُسْن بلائه، وأعانه على ما استرعاه ، ووفَّقه فيما ولاَّه ، وأنهضه بإعزاز المِلَّة ، وإكرام الأُمَّة ، وإماتة البِدَع ، وإبطال (٣٨٧) المذْهَبِ المختَرَع ، وإحياءِ السُّنَن ، والاستقامة على لاحِبِ السُّنَن ، ووهبه من بنيه وذريَّته ، مُؤازرين على ما حَمَّله منن أعباء خلافته ، ومُظاهرين على ما كلَّفَهُ من لإمعان النظر فى بَرِيَّته .

---

(1) بياض بأصل المخطوطة ، وما بين الحاضر تين إضافات يقتضيها المعنى وضعهـا ناشر « صبح الأعشى » .

ويسأله الصلاة على محمدٍ خاتم أنبيائه ، والخيرة من خلصائه ، الذى شرَّفه بختام رُسُله ، وإقرار نيابته فى أهل ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه وباب حكمته ، على بن أبى طالب وَصِيِّة فى أمَّته ، وعلى الأئمة الطَّهَرة من ذريته ، مناهج رحمته ، وسُرُج هدايته ، وسلَّم تسليماً .

وإن الله تعالى جعل الخلافة للكافة عِصْمه ، ولأهل الإيمان رَحْمه ، تَجْمَعُ كلمتَهم ، وتحفَظُ أُلْفَتَهم ، وتُصْلِح عامَّتَهم ، وتُقِيم فرائضه وسُنَنه فيهم ، وتَمُدُّ رواق العدل والأمَنَة عليهم ، وتحِسمُ أسباب الكُفْر والنفاق ، وتقْمَع أهل العناد والشِّقاق، ولذلك وَصل الله حبل الإمامة ، وجعلها كلمةً باقيةً فى عِقب أوليائه إلى يوم القيامة .

ولما نظر أميرُ المؤمنين بعين اليقين ، واقتبس من الحقيقة قَبَس [الحق] المبين ، عرف ما بُيِّنتْ عليه الدنيا من سرعة الزَّوال ، ووَشْك التحوُّلِ والانتقال ، وأنّ ما فَوَضَ الله إليه من خلافته لا بد أن ينتقل عنه إلى أبنائه الميامين ، كما انتقل عن آبائه الراشدين ، فلم يغْتَرَّ بمواعيدها المُحَال ، وأضرَبَ عما تَخْدَع به من الأمانىِّ والآمال ، وأشفق على من كفَّله الله بسياسته ، وحمَّله رعايَته من أهل الإسلام المعتصمين بحبل دعوته ، المشتملين بظلِّ بَيْعته ، عند تقضِّى مُدَّتِه ونزوعه إلى آخرته ، فى الوقت المعلوم ، بالأجل المحتوم ، من انتشار الكلمة ، وانبتات العِصْمه ، وانشقاق العَصَا ، وإراقة الدما ، واستيلاء الفِتَن ، وتعطيل الفُرُوض والسُّنَن، فنظر لهم بما يَنْظِم شَمْلَهم ، ويصلُ حَبْلَهم ويَزْجُر ظَلَمَتَهَم ، ويجمع كلمتَهْم ، ويؤلِّف أفئدتَهم ، ورأى أن يَعْهَد إلى فلان ولَدِه : لأنه قريعُه فى علمه وفضله ، وعقيبُه فى إنصافه وعَدْله ، والملموح من بعده ، والمرجُوُّ ليومه وغده ، ولمِاَ جمع الله له من شروط الإمامة ، وكَمَّله له من أدواتِ الخلافة ، وجَبَله عليه من الرحمة

والرأفة ، وخصَّه به من الرَّصَانة والرَّجَاحه ، والشجاعة والسمَّاحة ؛ وآتاه من فَصْل الخطاب ، وجوامع الصواب ، ومحاسن الآداب ، ووقاية الدين ، والغِلْظة على الظالمين ، واللُّطْف بالمؤمنين ، بعد أن قَدَّم استخارةَ الله تعالى فيه ، وسأله توفيقةَ لما يُرْضِيه ، ووقَفَ فِكْرُه على اختياره ، ولم يكن باختياره مع إيثاره ، ويلوح فى شمائله ، ويستوضحُ فى مخايله ، أنه الولى المجتبى ، والخليفة المصطفى ، الذى يحمى الله به ذِمارَ الحق ، ويُعْلى بسلطانه شِعَارَ الصِّدْق ؛ وأنه – سبحانه – قد أفضى إليه بما أفضى به إلى الخلفاء من قَبْله ، وأفاضَ عليه من الكامنات ما أفاضه على أهله ؛ وبعد أن عانده وعاهَدَه على مثل ما عاهدَه عليه آباؤه : من تقوى الله تعالى وطاعِته ، واستشعار خيفته ومراقبته والعمل بكتابة وسُنَّته ، وإقامةِ حدود الله التى حدَّها ، بفروضه التى وكَّدها ، والاقتداء بسلفه الراشدين ، فى المكافحة عن الدين ، والمسامحة عن أوزار المسلمين ، وبَسْط العدْل على الرعيّة، والحكم بينهم بالسَّويَّه ، وإنصاف المظلوم من الظَّلُوم وكفِّ يدِ المغتصِب الغَشُوم ، وصَرْف وُلاة الجوْر عن أهل الإسلام ، وتخيُّر من ينْظُر بينهم فى المظالم والأحكام، وأن لا يُوَلِّىَ عليهم إلا من يثق بعدالته ، ويسْكُنُ إلى دينه وأمانته ، ولا يَفْسَحُ لشريف فى التعدِّى على مَشْرُوف ، ولاَ يقْوى فى التسَلُّط على مَضْعوف ، وأن يحمل الناس فى الحقوق على التَّساوى ، ويجْرِيهَم فى دَوْلته على التناصُف والتَّكافِى ، ويأمر حُجَّابه ونوَّابه بإيصال الخاصَّة والعامة إليه ، وتمكينهم من عَرْضِ حوائجهم ومظالمهم عليه ، ليعلموا : الوُلاَة والعُمَّال ، أنّ (٣٨٩) على ذكْر منه وبَال ، فيتحاموا التثقيل عليهم والإضرار بهم . وأشهد عليه بكل ما شرطه وحَدَّده، والعمل بما يحمد إليه فيما تقلَّده . على أنه غنىّ عن وَصيَّة وتبصير ، وتنبيه وتذكير، إلا أنّ محمداً سيدَ المرسلين يقول لعلىّ – صلى الله عليهما – « أرْسِل عاقلاً ألا فاوصه » .

فبايعوا على بركة الله تعالى طائعين غيْرَ مُكْرَهين ، برغبيةٍ لا برهبة ، وبإخلاص لا بمداهنه ، بيعةَ رِضًا واختيار ، وانقيادٍ وإيثار ، بصحةٍ من نيَّاتكم ، وسلامةٍ من صدوركم ، وصفاءٍ من عقائدكم ، ووفاءٍ واستقامةٍ فيما تضعون عليه أيْمانكم : ليعرِّفَكم اللهُ [من] سُبُوغ النِّعمه ، وشُمُول الحَبْره ، وحسن العاقبة ، واتفاق الكلمة ، مايُقِرُّ نواظركم ، ويُبَرِّد ضمائركم ، ويُذْهِبُ غِلَّ صدوركم ويُعزُّ جانبكم ، ويُذِلُّ مُجانِبكم ؛ فاعلموا هذا وإعملوا به إن شاء الله .

*****

١٠

نوع الوثيقة : سجل ببيعة .

موضوعها : إعلان بولاية العهد من الخليفة لابنه .

صادرة عن : لم يذكر ، ونرجح أن يكون الخليفة العاضد لدين الله (انظر المقدمة) .

إلى : لم يذكر ، ونرجح أن يكون داود بن العاضد (انظر المقدمة) .

تاريخها : لم يذكر ، ونرجح أن يكون بعد سنة ٥٦٠ هـ (انظر المقدمة) .

كاتبها : القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٩ – ٣٨٥) .

نسخة بولاية العهد من خليفة لولده ، من إنشاء القاضى الفاضل، أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرات ، وهى :

((من عبد الله ووليّه فلان أبى فلان الإمام الفلانى إلى فلانٍ الفلانى .

أمـا بعد ، فالحمد لله الذى استحق الحمدَ بفضلِه ، وأجرى القضـــــاءَ [على ما أراده] ووَسِعَ الجرائمَ بعفوه وعدله ، وصَرَّف المراحمَ بين قوله وفعله ، وأعلى منارَ الحق (٣٨٠) وأرشد إلى أهله ، واختار الإسلامَ ديناً وعَصَم المعتلقين بحبله ، وأوضح سبل النجاة بما أوْضَح لسالكيه من سُبْله ، وتعالى عُلاه إلى الصِّفات ، فلم يوصَفْ بمثل قوله : ﴿ لَيْسَ كمثْلِه ﴾ وتنزَّه عن اشتراك التشبيهات ، فى كل جليل الوصف مستقِلّه وغيرِ مستَقِلّه ، علمَ ما اشتملتْ عليه خَطَراتُ الأسْرار، وأشارات إليه نظرات الأبصار ، وانفجرتْ عنه غمراتُ الأخطار ، واخفته سَتَراتُ الظلماء وباحت به جهَرَاتُ الأنوار : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [1] .

والحمد لله الذى جعل الدِّين عنده الإسلام ، فمن ابتغى غيْرَه ضَل المَنْهَج ، وأبْعَدَ المَعْرَج ، واستَلْقح المُخْدَج ، وغَلِط المَخْرَج ، وفارقَ النُّورَ الأبْلَجْ ، وركبَ الطريقَ الأعوجْ ، وأتى يومَ القيامة باللسان المُلَجْلَج ، ومَنْ أسْلَمَ وجهَهَ إليه فاز بالسَّعْيِ النَّجِيح ، وحاز المَتْجَرَ الرَّبِيح ، ووَرَدَ المَوْرِدَ الأحْمَد ، وَيمَّم القَصْد الأقْصَد ، ووجَد الجَدَّ الأسْعد ، وسلك المَنْج الأرشد ، فهو العُروة الوُثْقى ، والطريقةُ المُثْلى ، والدرجةُ العُليا ؛ وأُمِرَ به خيْرُ المرسلين ، المنعوتُ فى سِيَرَ

[1] سورة الرعـــد الآيـة ١٠ .

الأولين ، والمبعوثُ بالحق المبين ، والقائمُ رسولاً فى الأُمِّيين ، والهادى إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم ؛ والداعى الذى مَنْ أجابه وآمَنَ به غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وأجير من عذاب أليم ، والمستقِلُّ [بالعِبْء] العظيم ، بفَضْل ما مُنِح من الخُلُق العظيم ، والممدوحُ بقوله :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [1] .

والحمد لله الذى وصل النبوَّةَ بالإمامة ؛ وجعلها كلمةً باقيةً فى عقبه إلى يوم القيامة ، وخصَّها بالخصائص التى لا تنبغى إلا لتامِّ الكرامة ، وأجار بها خَلْقَه من مَتالِف (٣٨١) الطامة وبَوادِى الندامة ، وهدى بشرف مَقامِه إلى دار المُقامه، واستردَّ بأنوار تدبيره من ظلام البواطل الظُّلامه ، وأحسَنَ بما أجراه من نَظَره النظر للخاصّة والعامة ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [2] .

يحمده أمير المؤمنين أنْ رَفَعَه إلى ذلك الحلِّ المُنيف ، واستعمر به المقامَ الشريف ، وأظهرَ كلمةَ الدين الحنيف ، ونفى عنه تَغَالِيَ التعمق وتجديفَ التحريف ، وبيَّن بموافقة توفيق هَدْيه طريقَ التكليف ، وأمدَّه بموادّ إلهية ، تشتهر فتستغنى عن التعريف ، وتتصل فتقطع موادّ التكييف .

ويسأله أن يصلِّىَ على جدهَ محمدٍ الذى نسخ بشريعته الشرائع ، وهذَّبَ بهدايته المشارع ، وأيده بالحُجَج القواطع ، والأنوار السواطع ، وجعل من ذُرِّيَّته

---

[1] سورة التوبة الآية ١٢٨ .

[2] سورة النمل الآية ١٦ .

جبالَ الله القوارع ، ومن مشكاته نجومَ الهُدَى الطوالع ، وعُرفتْ صنائعه بالله إذا افتخرت المنعمون بالصنائع .

وعلى أخيه وأبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب المخصوص بأخوّته ، وأبى الثقَلَيْنِ من عِتْرته ، والسابقِ إلى الإسلام فهو بعدهَ أبو عُذرِته ، وإلى تفريج الكَرْب عن وجهه فى الحَرْب فهو ابن بَجْدَتِه .

وعلى الأئمة من ذريتهما مصابيح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك المبهمات ، والممنوحين من شَرف السِّمات ما جلَّ عن المُسامَات ، والممدوحين بفضل الجاه فى الأرضين والسموات .

وإن الله بحكمته البديعة ، ورحمته الوسيعة ، أقام الخلفاء لخلقه قِوَاما وبحقِّهِ قُوَّاما ، وجعل نار الحوداث بنورهم بردا وسلاما ، وجعل لهم الهدايةَ بأمره لِزَاما ، واستصرف بهم عن الخلق عذابَ جَهَنم ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [1] ، فهم أرواحُ والخلائقُ أجسام ، وصَيَاحٌ والمسالكُ أظْلام ، وثمراتٌ والوجود أكمام ، وحُكَّام والحقائقُ أحكام ، يسهرون فى منافع الأنام وهم نِيَام ، وينفردون بوَصَب النَّصَب (٣٨٢) ويُفْرِدونهم بلذّات الجام ، ويهتدون بهداياتهم إلى ما تَدِقُّ عنه حوائِط الأفهام ، ولا يُدْرَك إلا بوسائط إلهام .

وقد أصطفى الله الأميرَ من تلك الأُسْره ، ورَقَّاه شرفَ تلك المنابر ومُلْك تلك الأَسِرَّه ، وأنار بمَقَامه نجومَ السعادة المستَسِرَّه ، واستخدم العَالَم لأغراضه ، وسدَّدَ كلَّ سهم فى رَمْيه إلى أغراضه ، وأقرضَ اللهَ قَرضاً حسناً فهو واثقٌ بحُسْن

---

[1] سورة الفرقان الآيــة ٦٥ .

عواقب إقراضه ، وافترضَ طاعتَه فى خَلْقه فالسعيدُ من تلقَّى طاعة أمير المؤمنين بافتراضه ، وأمضى أوامرَه على الأيَّام فما يقابلها صَرْفٌ من صروفها باعتراضه ، وأدار الحقَّ معه حيث دار ، وكشف له ما استجنَّ تحتَ أستار الأقدار ، ووقف الخِيرة والنُّصْرة على آرائه ورآياته فهو المستشار والمستخار ؛ وألهمه أن يحفَظَ للأمة غَدَها كما حَفِظ لها يوْمَها ، وأن يُجْرِىَ لها مَوَارِد توفيق الارتياد ولا يُطِيلَ حَوْمَها ، وأن يجعل المؤمنَ على ثَلَج من الصدور ، وفَلْج من الظهور ، ويُدِعَ عندها بَرْدَ اليقين بالإشارة على مستَوْدِع النور ، ويجلها على شريعةٍ من الأمر فَتَتَّبعها ، ويُحِلهَّا بمنزله الخِصْب فترتَبعها ؛ ويُعْلِم نَدِىّ خَيْره ليكونَ غايَتَها ومَفْزَعها، ويُعَرِّفَها من تنتظرُه فتتَّخِذه مآلَهاَ ومرجعها ، ويقتدى فى ذلك بسيد المرسلين فى يوم الغَدير ، ويشير إلى من يقوم به المشيرُ مقام البشير .

ولما كنتَ حافظَ عهد أمير المؤمنين والسيّدَ الذى لا بد أن يُتوجَ به السرير ؛ والنجمَ الذى لا بد أن نستطيلَ إلى أنواره ونستطير ، والذخيرة التى أدَّخَرَها اللهُ لِنَيْل كل خَطَر ودَفْع كل خَطِير ، والسحابَ الذى فيه النَّجُّ المطير ، والنجمُ المنير، والرَّجْمُ المبير ، وقد تجلَّتْ لك أوجُهُ الكرامات وتبدَّتْ ، وتبرَّحَتْ لك مخطوبات المقامات وتصدَّتْ ، وطلَبتْك كُفْئاً لنَيْلِ عقليتها وسُكْنى مَعْقِلها فما تعدّتْ ، وأدت إليكَ لطائِفُ فَهْمِكَ من أسرار الحقائق ما أدتْ ؛ وعرَفَتْ من سِماكَ هَدْى النبوَة، واجتمع لكَ مزيّةُ الشرفين من الطرفَيْن الأبوة والبُنُوّة ، وأخذْتَ كتاب الحكمة (٣٨٣) ومصون العِصْمة بقوة ، وأجَرْتَ القلوبَ التى بعوارض الشكِّ مَمْنُوّه ، وآثرْتَ العقائدَ التى بنواقِضِ العقْد مملُوّه ، وغَدَت وَجُوه الأنام بأيامك مَجْلوّه ، وتوافقت الألسُنُ على مدحك ولا مثْلَ ما مُدحْتَ من الآيات المتلُوّه ، وكنتَ بحيث تذهب بالأهوال المسْلُوّه ، وتُقْبِل بالآمال المرجوه ، ولو أن رَكْباً ضلَّ لهَداهُ نُورُكَ فى الليل البهيم ، ولو أن ذِكْرَك شَذَّ لتبدّى فى الآيات والذكر

الحكيم ، ولو أنك طلعتَ على الأولين لما تساءلوا ولا اختلفوا فى النبأ العظيم ، ولو أن قديماً علا فوق كل حديثٍ لقام لك الحديثُ مقامَ القديم ، ولو أن جميعَ الأنام فى صعيدٍ لصَعِدتَ دونهم المَقَامَ الكريم ، ولو أن يدَكَ البيضاء تَجَسَّمَتْ للناظرين لأعَدْتَ آيةَ موسى الكليم ، ولو أن هديتَك الغرَّاء تنسَّمتْ للذاكرين لأحيَيْتَ بها العظامَ وهى رميم ، ولو أن علومَك انتشرت بين العلمـــاء لتـــلوْا : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [1] ؛ ولو أن ليلة ولادتِك رصدَتْهاَ البصائرُ ، رأت كيف يُفْرقُ فيها كلُّ أمْرٍ حكيم ، والصِّفات إذا احتفل أربابُها وقفَتْ لك عبيداً ، والأيامُ إذا كانتْ ظروفاً لفضائلك كان كلُّ يومٍ منها للعبيد عيدا ، والأنسابُ إذا كانتْ ظروفاً الجَدُّ سعيداً ، فلتفخَرْ قبْلَ السيْر بأن أمليْت عليها السُّوَر .

وأبشِرْ بأن المنتَظر من فضل الله لكَ فوْقَ ما تَعَجَّله النظرَ ، واشمَخْ بأن سادةَ القبائل مُضَرُ وأنك بعد أمير المؤمنين سيِّدُ مُضَرْ ، وابذَخْ بأنك عِوَضٌ من كل من غاب وما عنك عِوَضٌ فى كل مَن حضَر ، وابْجَحْ بأنك قد أُهِّلْتَ لأمرٍ أبى الله له إلا أُولى العَزْم والخَطَرْ ، واشكر الله على نعمةٍ خلقَك لها بقَدَرْ ، ومزيّةٍ لا يُزفِّى حقَّها من أضمر فأغرق أو نطقَ فشَكَر : وقل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [2] .

وقُلْ : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ [3]

(٢٨٤) فإليك هذا الأمرُ يصير ، وأنت لَهُ والله لك نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير ، وتأهبْ له فى درجته التى لا ينالها باعٌ قصير ، ولا يمتطيها إلا من اختاره اللهُ على

---

[1] سورة يوسف الآيـة ٧٦ .

[2] سورة الأعراف الآيـة ٤٣ .

[3] سورة النمـــل الآيـة ١٩ .

علم من أهل الثقليْن ، ولو أنّ بعضَهم لبعضٍ ظهير ، ولا نرى لها أهلاً إلا من أراه الله من آياتِه أنه هو السميع البصير ، وفاوِضْ أميرَ المؤمنين في مُشْكِلات الأمر ولا ينَبِّئُك مثلُ خَبير ، واقْتَدِ منه بمن هو [في] أهل البائن دون الخلق بشير ، وسِرْ إذا استعْمَلك اللهُ فيهم بما رأيتَ أميرَ المؤمنين به فيهم يسير ، وادْعُ اللهَ بأن يُيَسِّر على يَدِكَ مَنَاجِحَهم إن ذلك على الله يسير ، وأعْرِفْ ما آثَرَكَ الله به من أنه لم يجعل ليَدِك كُفؤًا إلا ذا الفقَار ، ولا لقَدَمك كُفُؤاً إلا المِنْبَر والسرير ، وتحدّثْ بنعمة الله وإجرائها فأمير المؤمنين اليومَ عليك أميرٌ وأنت غـــداً على المؤمنين أمير : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ [1] .

وأمـا العَـدْلُ وإفاضَـتُه ، والجَـوْرُ وإغاضَـتُه ، والعصَّعْبُ ورياَضَـتُه ، والجَـدْبُ وترويضُـه ، والخَطْـب وتَفْويضه ، والجهادُ ورَفْع عَلَمه ، والذبُّ عن دين الله وحِفْظُ حُرَمه ، والأمرُ بالمعروف ونَشْرُ ردائه ، والنهى عن المنكر وطَيُّ اعتدائه ، وإقامةُ الحدّ بالصُّفْح والحَدّ ، والمساواةُ في الحق بين المولى والعبد ، وبثُّ دعوة الله في كل غَوْر من البلاد ونجد ، وأمرُ عباد الله إن عباد الله في زمنك الرغد ، فذلك عهْدُ الأئمة الراشدين ، وهو إليك من أمير المؤمنين ، عَهْدٌ مؤكَّد العَقْد : وهو سُنَّة فضل الخلفاء التي لا تَجِدُ لها تحويلاً ، ومعنى العهد الذى أمر اللهُ بالوفاء به فقال: ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [2] .

وهل يُوصَى البحرُ بتلاطُم أمْواجِه ؟ وتَدَافُع أفْواجِه ؟ وبتَزَاخُر عَجَاجِه ؟ وهل يُحَضُّ البدرُ المنيرُ على أن يُنِير سراجَهُ ، ويَطْلُعَ ليتَضح للســالك مِنْهَاجُه ؟ أو يُنَبَّهُ على هدايته (٣٨٥) إذا تهادَتْه أبراجُه ؟ .

---

[1] سورة النمــل الآيــة ٤٠ .

[2] سورة الإسراء الآيــة ٣٤ .

وعليك من سرائر أنوار الله ما يُغْنِيك أن تُوصَى ، ولديْك من ظواهر لطائف الله ما تَمَيَّز به عن الخلق إذا اضحيْتَ به مخصوصاً ، ومن شواهد اختيار الله ما تظاهرتْ عليك آياتُه نصوصاً ، فبسلام الله يُحَيِّك المؤمنون ، وبالاعتلاق بعصمة ولائك في يوم الفزع الأكبر يأمنون ، والله منجزٌ لك وعدَه كما أنجزه لمن جعلهم أئمةً لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون .

والله سبحانه يُهْدى إليك تحيةً من عنده مباركةً طيبة ، ويُسدى إلى مقام شرفك سَحابةَ رحمةٍ غَدِقَةً صَيِّبَة ، ويجعل ما رآه أميرُ المؤمنين من ولايَتِك عهدَه، وكَفالَتِك للأمة بعده ، للمَسَرَّات ناظماً ، وللمساءات حاسماً ، وللبركات جامعاً ، وللباطل خافظاً وللحق رافعاً .

وأَمَرَ أمير المؤمنين أن يعَيَّن على رجال من أولياء دولته ، ووجوه شيعته ، وأنصار سَرتِّه ، عِدَّةٌ يكون إليك اعتزاؤها وبك اعتزازُها ، وببابك العالى إقامتُها، وإلى جانبك انحيازها ، فتكونُ موسومةً بالعبودية ، ومتعرّضةً بالولاء للسعادة الأبديَّة ؛ فتَمْتَثِلَ على ما تُمَثِّله من المراسم ، وتتصرَّف على ما تُصَرِّفُها عليه من العزائم ، وتكونُ أبداً لما ينفُذ عنك من أحكام الهبات والمكارم ، وتقومُ من ملازمة الخدمة في مواكبك بما هو لكل خادمٍ فرضٌ لازم ، وتُسارع في مَطَالِبك إلى ما يُسارع إليه الحازم ، وتجودُ يا سَمَاءَ الإنعام بالغَدَق الساجم ، وتُقَدّر لها من الواجبات والزيادات ما تقتضيه همم المكارم ؛ تبذلُ في الخدمة الاجتهاد ، وتُنافِسُ فيما تَسْتَمِدُّ [به] الحُظْوَة بحضرته والإحماد ؛ وعَرِّضْها من الإحسان الجمّ للازدياد وبَلِّغْها المرادَ بما تَبْلُغُ بها من المُراد : لتتشرَّف بأن تكون تحت ركابه العالى متَصرِّفة ، وتفتخر بأن تكون أنسابُها باسمه العالى متِشَرِّفة ؛ إن شاء الله تعالى .

* * * * *